# من نقد المعنى عند الإمام المرزوقي
# في شرح ديوان الحماسة


إعداد

أحمد أحمد على عطوان

الأستاذ المساعد في قسم البلاغة والنقد

كلية اللغة العربية بالقاهرة

# من نقد المعنى عند الإمام المرزوقي في شرح ديوان الحماسة

**أحمد أحمد على عطوان**
**قسم البلاغة والنقد كلية اللغة العربية بالقاهرة**
**البريد الإلكتروني : drahmed.3twan@gmail.com**

**الملخص :**

هذا البحث يتناول نقد المعني عند الامام المرزوقي في شرحة علي ديـــوان الحماسة ، فقد كان يوازن بين المعاني ، ويفضل بعضها علي بعض معلـــلا ذلك تاره وتاركا التعليل كثيرا ــ وقد يقدم شاعرا علي شاعر لدقه الصـــورة البيانية وكثرة تفاصيلها وقد يقدم الشاعر لجودة معناه ومن ثم فقـــد أحصـــى البحث تلك الموازنات في اربعه مطالب وزعت علي :-

١-الاستحسان المعلل

٢-استحسان الصورة اليانية

٣-استحسان الابلغية

٤-الاستحسان الغير المعلل

وقد اتم رصد ميزات التقديم عند المرزوقي من خلال اسجادته لعلوً المعنـــي وعمومه ودقته والقطع به وحيوية الصورة البيانية من تشـــبيه أو اســـتعاره أو كناية . ولكن الغالبه علي المرزوقي أنه كان يقدم شاعرا علـــي شـــاعرا تاركا للقارئ لمح اسباب التقديم وقد جال البحث في كثير من ذلك .

**الكلمات المفتاحية:** معني – نقد – صورة – استعارة – تشبيه – كناية

# From the criticism of the meaning of Imam Al-Marzouki in explaining Diwan al-Hamasa

**Ahmed Ahmed Ali Atwan**
**Rhetoric and Criticism Department of the College of Arabic Language in Cairo**
**E-mail: drahmed.3twan@gmail.com**

**Abstract:**
This study deals with the criticism of the meaning of Imam Al-Marzouki in the Explanation of Ali Diwan Al-Hamsa, as he used to balance the meanings, and prefer some of them to others, explaining this and leaving the explanation a lot - and a poet may present to a poet for the accuracy of the graphic image and the abundance of its details.

1- Justified Approval

2- Desirability of the Jainism image

3- Approval of the rhetorician

4- Unexplained approval

The features of Al-Marzouki's presentation were monitored through his mastery of the meaning, its generalness, accuracy, its severity, and the vitality of the graphic image from an analogy, metaphor, or metaphor. But the majority of Al Marzouki was that he used to introduce a poet to a poet, leaving the reader to glimpse the reasons for the presentation, and much of that was researched.

**Key words** : Meaning - Criticism - Image - Metaphor - Metaphor - Metaphor

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

**ثم أما بعد**

فقد تعرض الإمام المرزوقي في شرحه لحماسة أبي تمام للموازنة بين المعاني المتماثلة فكان يفضل معنى على معنى مُعَلِّلاً ذلك التفضيل في بعض المواضع لزيادة معنوية وربما علل التفضيل لما في المعنى المُفَضَّل من وضوح في المعنى والدلالة بسبب أمور بيانية من تشبيه أو استعارة وقد يقدم معنى من المعاني لما فيه من مبالغة وربما يعيب المعنى لما فيه من مبالغة غير مقبولة .

على أننا قد نجده في أحيان كثيرة قد يطلق تمييز المعنى من غير أن يُبَيِّنَ وجه التفضيل والتقديم تاركا ذلك لذائقة القارئ واجتهاد في استجلاء وجه التفضيل . وعلى هذا فقد جاء هذا البحث في أربعة مطالب :

**المطلب الأول :** في الاستحسان المعلل .

**المطلب الثاني :** في الاستحسان للتصوير البياني .

**المطلب الثالث :** في الاستحسان للأبلغية .

**المطلب الرابع والأخير :** في الاستحسان غير المعلل .

وقد كان حق هذا المطلب أن يلي المطلب الأول لما بينهما من المقابلة، وقد آثرت تأخيره لما فيه من محاولة بيان وجه التفضيل على قدر ما يفتح الله به وقبل تناول تلك المطالب الأربعة نقدم تعريفا موجزًا بالإمام المرزوقي ثم التعريف بشرحه ثم بالنص المشروح وصاحب اختياره .

## أبو تمام وتأليفه : ديوان مختارات الحماسة

أبو تمام هو حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدى بن عمرو بن الغوث بن طئ .

ولد في جاسم بالجيم والسن المهملة وهي قرية من قرى الجيدور بفتح الجيم وسكون المثناة التحتية ، وهو إقليم من دمشق . في آخر خلافة الرشيد سنة تسعين ومائة ، وقيل غير ذلك . ونشأ بمصر واشتغل إلى أن صار أوحد عصره .

كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة للعرب غير المقاطيع والقصائد . وله كتاب الحماسة الذي دلّ على غزارة علمه ، وكمال فضله وإتقان معرفته بحسن اختياره وهو في جَمْعِه للحماسة أشعر منه في شعره ، وله كتاب مختار أشعار القبائل وهو دون الحماسة وكلاهما عندي ومات سنة اثنتين وثلاثين بعد المائتين ، وقيل غير هذا وكان شعره غير مرتب ، فرتبه الصولي على الحروف ، ثم رتبه على بن حمزة الأصفهاني على أنواع الشعر [١] "

" قد اقتص التبريزي في مقدمة شرح الحماسة أن أبا تمام كان قد قصد عبد الله بن طاهر وهو بخراسان ، فمدحه وأثابه ، وعاد من خراسان يريد العراق . فلما دخل العراق اغتنمه أبو الوفاء بن سلمة فأنزله وأكرمه ، فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج عظيم قطع الطريق ومنع السابلة ، فغم أبا تمام ذلك وأحْرِج صدره ، على حين سر ذلك مضيّفه أبا الوفاء ، فأقبل على أبي تمام وقال له : وطّن نفسك على هذا المقام فإن هذا الثلج لا ينحسر إلا بعد زمان وأحضره خزانة كتبه فطالعها واشتغل بها وصنف خمسة كتب في الشعر منها كتاب الحماسة والوحشيات .... "[٢].

(١) خزانة الأدب – عبد القادر البغدادي ١ / ٣٧٥ طبعة عبد السلام هارون ١٩٩٧م .
(٢) مقدمة شرح ديوان الحماسة ١ / ٨ – ط – هارون .

**الإمام المرزوقي :**

هو أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي أبو علي : من أهل أصبهان ، كان غاية في الذكاء والفطنة وحسن التصنيف وإقامة الحجج وحسن الاختيار وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة . مات فيما ذكره أبو زكريا يحيى بن منده في ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وكتب عنه سعيد البقال وأخرجه في " معجمه " .... قال الصاحب بن عباد : فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة : حائك وحلاج وإسكاف ؛ فالحائك هو المرزوقي ، والحلاج أبو منصور ابن ماشدّة والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالري ، صاحب التصانيف في اللغة .... "[1]

**شرح الحماسة للمرزوقي :**

" شرح المرزوقي يُعدّ أكبر الشروح التي وصلت إلينا ، وأكثرها عناية بمعاني الشعر ، وبالنقد والموازنة ، على حين لم تفته العناية باللغة والاشتقاق ، وكذا العناية التي لا إسراف فيها بمسائل النحو والتصريف . لكنه قد فاته كثير من أخبار الشعر ومناسباته ، والكلام على أسماء الشعراء واشتقاق أعلامهم ، وهما الميزتان اللتان امتاز بهما التبريزي عليه . والتبريزي في هذه الناحية الأولى قد افاد من شرح أبي رياش للحماسة – ويبدو أن كتاب أبي رياش لم يقع للمرزوقي حتى يمكنه الانتفاع به ، كما صنع التبريزي – وفي الناحية الأخرى قد أفاد من شرح أبي هلال العسكري، ومن المبهج . والمرزوقي ذو عبارة رصينة متخيَّرة ، يتكلف لها الصنعة حينا ، ويعتمد آخر إلى السجع الهيّن ... " [2] .

(١) معجم الأدباء – ياقوت الحموى ٢ / ٥٠٦ طبعة إحسان عباس – دار الغرب الإسلامي – بيروت – ١٩٩٣م .

(٢) مقدمة شرح الحماسة بقلم الأستاذ عبد السلام هارون ١ / ١٦ .

## ( الاستحسان المعلل )

**الحماسية الرابعة عشرة لبشامة النهشلى :**

**٩- لو كانَ في الألفِ منا واحدٌ فَـدَعَوْا  مَنْ فَارِسٌ خَالَهُمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا**

" يعني بقوله : " فَدَعَوْا " أعلنوا الاستغاثة بـ " يال فلانٍ " و " من فتى " وما أشبهه ، ويقال : خلته أخالُه خيلاً ومَخِيلةَ وخَيَلانًا . وهذا مثل قول طرفة . إذا لقومُ قالوا :

**مَـنْ فَتًـى خِلْـتُ أَنَنـي  عُنِيـتُ فلـمْ أكسَـلْ ولـمْ أتبلَّـدِ**

وقد زاد هذا عليه بقوله : " لو كان في الألف منا واحد " ؛ لأن ذلك قال : " إذا القوم قالوا من فتى " فنصب نفسه مع قومه ؛ وهذا جعله منضما مع الكثرة إلى الغرباء . لأن السؤال بالمنكر لشدة إبهامه يكون أشمل لتناوله واحداً واحداً ، لاسيما وليس القصد في الاستفهام إلى معهود معين ، ولا إلى الجنس فيقال : من الفتى ومن الفارس ، وفي هذه الطريقة قول الآخر .

**إِذَا الْقَوْمُ قَالُوا : مَنْ فَتًـى  لِعَظِيمَـةٍ  فَمَا كُلُّهُمْ يُدْعَى وَلِكِنَّـه الْفَتَـى**

وبيت بشامة أجود الثلاثة . وقد أحسن الفرزدق كل الإحسان لمّا أشار إلى هذا المعنى فقال :

**إِذَا مَا قِيلَ يَا لَحُمَاةِ قَوْمٍ  فَنَحُنُّ بِدَعْوَةِ الدَّاعِي عُنِينَا**[1]

المعنى المشترك : الإشارة بالإقدام والنجدة

١- بيت الحماسي :

**لو كان في الألف منّا واحدٌ فدعَوا  مَنْ فارسٌ ؟ خالهم إيَّاهُ يعنونا**

٢- بيت طرفة :

**إذا القومُ قالو : من فتى؟ خلت أنني  عُنِيتُ ، فلم أكْسَل ولم أَتَبَلّدِ**

(١) شرح الحماسة ١ / ١٠٧ .

٣- قول لآخر :

**إذا القومُ قالوا : من فتى لعَظيمةٍ فما كُلُّهم يُدْعَى ، ولكنَّــه الفتــى**

فَضَّل المرزوقي بيت بشامة ، وجعله أجود الثلاثة . من ناحية المعنى أولا لأنه لم يجعل الإقدام والنجدة لنفسه كما في بيت طرفة ولم يجعلها لفرد من قبيلته ، عندما تستغيث القبيلة كما في البيت الثالث ، وإنما جعل بشــامة الجرأة والإقدام والنجدة المتخيلة في الفارس المستغاث به عند الشدة جعــل ذلك سمة عامة في قبيلته فردًا فردًا إذا الواحد منهم كــان ضــمن الأقــوام الغرباء – المعنى عموم ذلك في قبيلته واحداً واحدًا عندما يندس منهم واحد في ألف من الناس ، حينما يستغاث فلا تنصرف الاستغاثة إلا إليــه : مــن فارس ؟ من يقوم لهذا الأمر .

وقد زاد الفرزدق فأخذ معنى العموم فجعله لقبيلته عامة ووجه الحسن إفادة العموم . مع وصف المستغاث به الذي أضمره التنكيرُ في " فــارسُ – فتًى " في الأبيات الثلاثة " فقال " لعُماةِ قَوْمٍ " ولم يجعل الأمر على التخيــل والظن بل جعله من العلم واليقين : " فنحن بَدَعْوةِ الداعِي عُنِينَا " وهذا أجود ، على أنه لا يُنْسَى لصاحب البيت الثالث ما ليس لأحد من مُقَارِنِه ، ألا وهو قوله : " لعظيمة " حيث أفصح عن المدعو له .

وجه الإحسان إفادة العموم في قوله : " لو كان في الألف منا واحــد " والبعد عن العهد في قولها : " القوم "

أما الفرزدق فأفاد العموم بإبهام المستغيث " قِيلَ " والتنكير في قوله : " قوم " ثم أيقن ذلك بقوله : " فنحن بدعوة الداعي دعينا "

**الحماسية التاسعة والسبعون بعد الثلثمائة ، أبو دهب العبسي :**

**٤- نَحَاهُ لِلَحْدٍ زِبْرِقَــانٌ وحَــارِثُ وفي الأرضِ للأقوامِ قَبْلَــكَ غُــولُ**

**٥- فَأَيٌّ فَتًى وارَوْهُ ثُمَّتَ أَقْبَلَــتْ أَكُفُّهُــمْ تَحْثِــي مَعًــا وتَهِيــلُ**

" يقول : ولَّاه للحد قبره هذان الرجلان ، والعادة مستمرة في فناء الأمم السالفة قبلنا ؛ لأن الأرض لا تخلو مما يغتال الأحياء ويهلكهم ... والكلام فيه يأس وتعز ، بعد أن اقتص دفنه ومن تولى ذلك منه . ثم قال على وجه التعجب : أي فتى دفنوه وغيبوه ؟! يعظم أمره ويفخم شأنه ... وفي الطريقة التي سلكها من اقتصاص الحال في الدفن والحثي ، قد أحسن من قال :

**أَلَمْ تَرَنِي أَبْنِي على الليــثِ بَيْتَــه وَأَحْثِي عليهِ التُّــربَ لَــا أَتَخَشَّــعُ**

**كأنِّي أُدَلِّي فــي الحَفِيــرَةِ بَاسِــلاً عَقِيــرًا يَنُــوءُ لِلْقِيَــامِ ويُصْــرَعُ**

**تَخَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فيــهِ ، لقُرْبِــه بعَهْدِ الحياةِ ، وَهْوَ مَيْــتٌ مُقَنَّــعُ**

أَلَا تَرَاهُ كَيْفَ صَوَّرَ التَّهَيُّبَ منه والإعظامَ له في تلك الحالة "[1] .

المعنى المشترك بين الشاعرين وصف هيبة الميت وتفخيم شأنه .

١- صاحب الحماسية :

**فَــأَيٌّ فَتًــى وارَوْهُ ثُمَّــتَ أَقْبَلَــتْ أَكُفُّهُــمْ تَحْثِــي مَعًــا وتَهِيــلُ**

٢- الأبيات المفضلة :

**أَلَمْ تَرَنِي أَبْنِي على الليــثِ بَيْتَــه وَأَحْثِي عليهِ التُّــربَ لَــا أَتَخَشَّــعُ**

**كأنِّي أُدَلِّي فــي الحَفِيــرَةِ بَاسِــلاً عَقِيــرًا يَنُــوءُ لِلْقِيَــامِ ويُصْــرَعُ**

**تَخَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فيــهِ ، لقُرْبِــه بعَهْدِ الحياةِ ، وَهْوَ مَيْــتٌ مُقَنَّــعُ**

وجه الاستحسان والتفصيل أن الحماسي اكتفى في تصوير الهيبة بأسلوب الاستفهام القائم على التعجب وترك النفس تتخيل تلك الهيبة ، وتفسيرها كيفما يقع منها : " فأي فتى وارَوْهُ " وكفى . أما صاحب الأبيات

(١) شرح الحماسة ٣ / ١٠٦٨ .

المفضلة ، فقد تكلم عن الهيبة بأسلوب الاستفهام القائم على التصوير البياني من خلال تلك الاستعارة : ألم ترني أبني على الليث بيته " كيف لا تعجب منى ومن جرأتي وأنا أبني على الليث بيته ، فجعله ليثا ، وهذا أمر معلوم ، لا مُشاحَّة فيه ، ولا عَجَب منه ، ولكن العجب منك كيف تعجب منى وأنا لا أتهيب الأسد ولا تخشع وأنا أفعل ذلك . وههنا يستشعر ما يشبه اللوم : وهل في أسد مَيْتٍ هيبةٌ فيقول :

**كأنِّي أُدَلِّي فـي الحَفِيـرَةِ بَاسِـلاً عَقِيـرًا يَنُـوءُ لِلْقِيَـامِ ويُصْـرَعُ**

فيريك أنك إذا رأيته ورأيت هيبته تقول : إنه لم يمت ، وإنما هو باسل، تأمل اختيار هذا الوصف من بين أوصاف الأسد التي تعني التجهم والعُبوس والكفهرة ، ثم إن هذا الباسل عقير يعني أنه مصاب ، وهو أشرس ما يكون في هذه الحالة ، وهذا العقير بمعنى المعقور ( فعيل بمعنى مفعول ) أي المصاب ، فأنه يحاول أن ينهض للقيام فلا يستطيع فيصرع للأرض ، أسد بهذه الصورة ، ألا يُهابُ ؟، ثم يكمل معنى نفي الموت عنه في رأي من يراه فيقول :

**تَخَالُ بَقَايَا الرُّوحِ فيهِ ، لقُرْبِه بعَهْدِ الحياةِ ، وَهْوَ مَيْتٌ مُقَنَّعُ**

يعنى أنك حين تراه ، وهذا الكلام رجوع إلى الميت المشبه بالأسد أو قل المستعار له الليث ، = تظن أو تتخيل أو تتوهم أنه ما زال حيا وفيه بقايا الروح ، وذلك لقربه بعهد الحياة ، مع أنه ميت مقنع ، قد لف في كفنه .

وجه الاستحسان الاسترسال في تصوير الهيبة بالصورة البيانية وعدم الاكتفاء بالكلام التقريري .

**الحماسية السادسة والثلاثون لقيس بن الخطيم [١] :**

**٧- إذا ما شَرِبتُ أربعا خَطَّ مِئْزَرِي وأَتبَعْتُ دَلَوِي في السَّمَاحِ رِشَاءَهَا**

" يقول : إذا شربت أربعة كؤوس جررت مئـزري ؛ فـأثر الأرض خيلاء وكبرا ، وتممت ما بقى على من السماح في حـال الصـحو ، كـأن معظمه فعله صاحبا ، والباقي منه تممه في حال السكر . وهذا الكلام يجري مَجْرى المثل للمعنى الذي بينت . حكى الأصمعي أنهـم يقولـون : " أتبـع الفرس لجامها " و " أتبع الدلو رشاءها " أي تمم ما بقى عليك من أمـرك . وكأنه يُضْرَبُ لمن جاد بالكثير وترك القليل الحقير .

وهذا أجود من قول عنترة العبسي ، وإن كان مفضلا عند كثير مـن الناس على قول عمرو بن كلثوم .

وقول عنترة :

**وإذا انْتَشَـيْتُ فـإنني مُسَـتَهلِكُ مَالِي وَعِرْضِي وَافِـرُ لَـمْ يُكْلَـمِ**

**وإذا صحوتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَـدًى وكَمَا عَلِمْـتِ شَـمَائِلِي وتكُرِمـي**

**وبيت عمرو :**

**مُشَعْشَـعَةً كـأَنّ الحُصَّـى فيهـا إذا مـا المـاءُ خالَطَهـا سَـخِينا**

لأن هذا قال : إنا نتسخى إذا شربنا الخمر ممزوجة . وما قاله عنترة في بيتين أشار إليه قيس في مصراع "[٢] .

المعنى المشترك : التكرم عند شرب الخمر

١- بيت قيس بن الخطيم :

**إذا ما شَرِبتُ أربعا خَـطَّ مِئْـزَرِي وأَتبَعْتُ دَلَوِي في السَّمَاحِ رِشَاءَهَا**

(١) قيس بن الخطيم ، شاعر مخضرم ، أدرك الإسلام ولم يسلم وأسلمت امرأته . قال ابن سلام فـي الطبقات : قيس بن الخطيم ، شاعر ، فمن الناس من يفضله على حسان شعرًا . ولا أقول ذلـك . طبقات فحول الشعراء ١ / ٢٢٨ - طبعة محمود محمد شاكر - مكتبة المدني .

(٢) شرح الحماسة ١ / ١٨٧ .

**٢- بيتا عنترة :**

**وإذا انْتَشَـــيْتُ فـــإنني مُسَـــتَهلِكُ مَالِي وَعِرْضِي وَافِرُ لَـــمْ يُكْلَـــمِ**
**وإذا صحوتُ فَمَا أُقَصِّرُ عَنْ نَدًى وكَمَا عَلِمْتِ شَـــمَائِلِي وتكُرِمـــي**

فُضِّل بيت قيس على بيتى عنترة ، وعلا عنه جـــودةً ، مـــن ناحيـــة المعنى ، حيث كان في قول عنترة الأصل في الكرم والجـــود ، واســـتهلاك المال يكون عند انتشائه بشرب الخمر وإذا صحى من سكره فما يُقَصِّر عن الندى ، وهذا عكس ما عند قيس فإن جوده ، وكرمه وبذل ماله يكون معظمه في حال صحوه ، فإذا ما انتشى من الخمر ، وجر مئـــزره علـــى الأرض خيلاء تدارك ما كان عليه من الكرم أو ما بقى عليه من الكرم فـــي حـــال صحوه ، هذا بون شاسع بين المعنين . هذا من ناحية المعنى ، أما من ناحية اللفظ والصنعة البلاغية فإن قيسا قد جمع بيتى عنترة في مصراع البيـــت : وأَتبَعْتُ دَلَوِي في السَّمَاحِ رِشَاءَهَا هذه الجملة أفـــادت أن جـــوده وكرمـــه وسخاءه يكون حال صحوه وإن بقى عليه شيء تداركه في حال سكره ، أما عنترة فقد أفاد بالبيت الأول أنه عند النشوة يستهلك ماله ، ثم أفـــاد بالبيـــت الثاني أنه عند الصحو لا يقصر عن النـــدى ، ويابعـــد مـــا بـــين المعنـــين والأسلوبين ، فقد أفاد شطر بيت قيس ما أفاده بيتا عنترة مع جودة المعنـــى وإن كان بيت عنترة الأول قد زاد على بيت قيس بهذا الاحتراس البـــديع : " **وَعِرْضِي وَافِرُ لَمْ يُكْلَمِ** " ؛ لأن الانتشاء بالخمر مظنة الســـفاهة والعربـــدة ، والوقوع في أفعال تقدح في عرض شاربها ، فأتى بهذا الاحتراس ليَبَيِّنَ أنه وإن انتشى بالخمر وسكر ، واستهلك ماله بالجود فإن الخمر لا تخرجه عن وقاره وسمته مما يحفظ عليه عرضه . وهذا معنى غير موجود فـــي شـــعر قيس ، وقد أغفله المرزوقي أما تفضيل قول عنترة على قول عمـــرو فـــي المعلقة فهما في المعنى سواء لأن كليهما قد ربط السخاء بشـــرب الخمـــر ، وإن كان قد شرط الخمر بالممزوجة فهذا معنى قريب .

**الحماسية السادسة والسبعون بعد المائة للفِنْدِ الزِّمَّانِي :**

**٧- تَفَتَّيْتُ بِهَا إِذْ كَرِهَ الشِّكَّةَ أَمْثَالِي**

**٨- كَجَيْبِ الدِّفْنِسِ الوَرْهَاءِ رِيعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ**

" الشكة : ما يلبس من السلاح ... يقول : تكلفت بهذه الطعنة وإحداثها فعل الفتيان ، وأبليت بها بلاء الشبان . في وقت يكره فيه حمل السلاح أمثالي من الرجال الشيوخ ، فكيف استعمالها . ومثل تفتيت : تشجعت وتكيست ... وقوله : " كجيب الدفنس " شبه اتساع الطعنة وسرعة خروج الدم منها باتساع جيب المرأة الحمقاء ، ونزوها في روعها ، واضطرابها في متخرق قميصها . والدفنس الحمقاء . والورهاء : المتساقطة العقل ، الضعيفة التماسك . ومعنى ريعت أفزعت بعد استعجال في العدو ، وإسراع في السعي . وخص جيب الورهاء لأن عادة مثلها أن تخرج اليد منه ، فيتسع خرقه وجعلها مروعة لتندفع في الإجفال وتنزو .. وكل هارب من شيء مسرع مُجْفِلٌ وَجَافِلٌ ... ويشبه هذا قولَ الآخر(١):

**مُسْتَنَّةٍ سَنَنَ الفَلُوِّ مُرِشَّةٍ تَنْفِي التُّرَابَ بِقَاحِزٍ مُعْرَوْرِفِ**

لأن نزو الدم من الطعنة شبهه هذا بنزو المهر واستنانه ، كما شبهه ذلك بعدو المجنونة عن ذعر . وقد سلك آخر هذا المسلك فقال في معنى هذا ولفظه :

**كجيب الدفنس الورهاء ريعَتْ وَهْيَ تستَفْلِي(٢)**

ومعنى تستفلي تطلب فلى شعرها ، وقد أخرجت يدها من جيبها فذعرت في تلك الحالة فلم تصبر لترد اليد إلى جوفها ، ولم ترفق بجيبها فمزقته ووسعته . وهذا كأنه لما قصد بيان سعة الطعنة جعل التشبيه بالجيب في حالة إخراج الحمقاء يدها منه مُستَفْلِيةً ، فزاد على الأول هذه الزيادة

(١) هو أبو كبير الهزلي ديوان الهزليين ٢ / ١١٠ .

(٢) للفند الزماني أو امرئي القيس من ملابس الكندي " اللسان ( دفنس ) .

الغامضة المأخذ ، اللطيفة الموقع ، وإن كان قوله " بعد إجفال " قد اخْتص بما اختص . ويشبه هذا في الزيادة على المعنى ، وقد استقر قول امرئ القيس :

**أوْ تَيْسِ أَظْبٍ بَبْطنِ وَادٍ يَعْدُو وقد أُفْرِدَ الغَزَالُ**

لأنه زاد فيه إفراد الغزال ، فدل على شدة الخوف وخفة العدو .

فأما قول أوس :

**وَفِي صَدْرِهِ مِثْلُ جَيْبِ الفَتَا ة تَفْهَقُ حِينًا وحِينًا تَهِرّ**

فهو وإن زاد التقسيم قاصر عنها[1] "

المعنى المشترك : تصوير سعة الطعنة

١- بيت الحماسية :

**كَجَيْبِ الِّدفْنِسِ الَوْرْهَا ء رِيعَتْ بَعْدَ إِجْفَالِ**

٢- بيت أبي كبير :

**مُسْتَنَّةٍ سَنَنَ الفَلُوِّ مُرِشَّةٍ تَنْفِي التُّرَابَ بقَاحِزٍ مُعْرَوْرِفِ**[2]

٣- الفند الزماني :

**كجيب الِّدفْنِسِ الَوْرْهَا ء ريعَتْ وَهْى تسْتَفْلِي**

تشابه البيتان الأولان في تصوير سعة الطعنة وتساويا في ذلك ، غير أن البيت الثالث قد زاد على الأولين بلمحة فارقة وهي الزيادة في الزيادة ، بمعنى أن البيتين الأولين قد صورا سعة الطعنة على غير العادة مرة بتشبيهها بفتحة قميص المرأة الحمقاء ووجه الزيادة أنه قد جعل جيب القميص لامرأة حمقاء قد أفزعت بعد استعجال في الَعدْوِ وإسراع في السَّعْيِ.

---

(١) شرح الحماسة ٢ / ٥٤١ .

(٢) ورد في شرح أشعار الهذليين في شرح هذا البيت : " يقول : تجرى على وجهها ( يقصد الطعنة ) كما يَسْتَنُّ الفَلُوُّ . وقوله : " تنفى التراب " ، أي تطرده هذه الطعنةُ إذا دفعت دفعة . و " القاحز " النَّازي و " المُعْرَوْرِفُ " ، الذي له عُرْفٌ . يقول : يخرج منها الدم كأنه عُرفٌ في الطول ، وإنما عنى بالقاحز الدمَ نفسَه " شرح أشعار الهذليين ٣ / ١٠٨٨ . صنعة أبي سعيد السكرى حققه عبد الستار أحمد فراج – راجعه محمود محمد شاكر – مكتبة دار العروبة .

والبيت الثاني صور المعنى في الطعنة بأنها ترمى بالدم والدم يقفر منها كقفر الفلو والفلو ( الفَلُوُّ : تشديد الواو : المُهْر ؛ لأنه يُفْتَلى ، أي يفطم) والفلو بطبيعته في حال هوج واضطراب في غالب وقته ، ثم إن الدم من شدة اندفاعه وقوته يُزِيل التراب عن مكانه . فأما وجه الزيادة على الزيادة في البيت الثالث أن الشاعر لم يكتف بأن صوَّر الطعنة بجيب المرأء الحمقاء الذي من طبيعتها النزق وخفة الحركة وطيشانها بل جعلها قد فزعت في حال إخراجها يدها تطلب من يفلي شعرها فكان موطن الزيادة هذه أبلغ في المعنى من البيتين السابقين ، وإن كان الجميع ، قد زادوا في المعنى وقد استقر المعنى ، كما زاد في المعنى المستقر امرؤ القيس معنى جديداً ، ألا وهو إفراد الغزال ، أي ليس معه من جنسه من يأنس به فيقل خوفه وفزعه وحركته . وإذا ما قارنا تصوير هؤلاء الشعراء الثلاثة في تصوير سعة الطعنة يقول أوس :

**وفي صدره مثلُ جَيْبِ الفتا ... ةِ تَفْهَقُ وحينا تَهِرّ**

سنجد أن أوساً قد قَصَّر في عدم إدراج الزيادة ؛ لأنه قد شبه الطعنة في سعتها بجيب الفتاة ، فقط ، أما هؤلاء فزادوا كون الفتاة ورهاء حمقا وهذا أزيد لحركتها واتساع جيبها ، ثم زيادة الروع والفزع للفتاة ، ثم الزيادة في البيت الثالث بأنها قد أُفْزِعَتْ في حال إخراجها يدها من درعها وطلبها الفَلْى وهذا أوسع وأوسع للجيب ولم يشفع لأوس تقصيرَه كونُه قد وصف حال الطعنة بأن قَسَّمها فجعلها تفهق حينا وحينا تَهِرّ .

**الحماسية الثامنة والثمانون بعد المائة السادسة ، وقال آخر[1]:**

**١- سأشكر عمرا إن تراخَتْ مَنِيَّتي ... أيادىَ لم تُمْنَنْ وإن هي جَلَّت**

**٢- فتًى غيرُ محجوبِ الغنَى عن صديقه ... ولا مُظْهِرُ الشكوى إذا النعل زَلَّتَ**

**٣- رَأَى زَلَّتى من حيثُ يَخفَى مكانُهَا ... فكانَتْ فَذَى عَيْنَيْهَ حتَّى تَجَلَّتِ**

(١) هو محمد بن سعد الكاتب التميمي ، شاعر بغدادي وقيل لغيره .

يقول : إني سأنشر آلاء عمرو ونِعَمه عندي إنْ نُفِّس من عمرى ، وتراخت غايةُ المقدار من منيَّتي ، فإنها صافية من المَنِّ و الأَذَى على جلالتها وفخامتها ... وهذا مثل قول الآخر[1] :

**أبو مَالكٍ قاصرٌ فقرَه على نفسه ومُشِيعٌ غِنَاهْ**

ويقال في الكناية عن نزول الشر وامتحان المرء : زَلَّتْ القدم به كما يقال : زَلَّتْ النَّعل به .

وقوله : " رأى خَلَّتى من حيث يَخْفَى مكانها " زائد على ما تقدم من قول ابن عنقاء الفزارى ، وهو :

**رَآني على ما بي عُمَيْلَةُ فاشتكى إلى ماله حالي ، أَسَرَّ كما جَهَرْ**

وذلك لأن هذا قال : " رأى خَلَّتي من حيث يخفى مكانها " فكأنه أدرك الحال ، من طريق الاستدلال ، والاهتمام المبعوث من جَودةِ التفطن ، وإن كان صاحبُه يتعفَّف عن لسُّؤال ويتجّمل ، وابُن عنقاء شاهَد الحالَ عِياناً، فاشتكى إله ما له سرًّا وجهرا ، وقال هذا بإزاء الاشتكاء : فكانت قَذَى عينيه، أي من حسن الاهتمام ما جَعَله كالَّداءِ الملازم له ، حتى تلافاه بالإصلاح ، وإذا كان كذلك فموضُع الزيادة في كلامه وقَصْدِه ظاهر " [2].

المعنى العام في المقارنة : مشاركة الصديق في حال الغنى ثم التعفف في حال الفقر ، والمعنى الخاص الذي تمت المفاضلة فيه هو قول صاحب الحماسية :

**رَأَى زَلَّتى من حيثُ يَخفَى مكانُهَا فكانَتْ قَذَى عَيْنَيْهَ حتَّى تَجَلَّتِ**

وقول ابن عنقاء الفزاري : **رَآني على ما بي عُمَيْلَةُ ....**

بين الإمام المرزوقي وجه الزيادة والاستحسان أن صاحب عمرو أدرك الحال من طريق الاستدلال والاهتمام المبعوث من جودة التفطن وإن كان صاحبه يتعفف عن السؤال ويتجمل ، وابن عنقاء شاهد الحال عيانا واشتكى إلى ما له سرًا وجهرًا وقال هذا بإزاء الاشتكاء يعنى باسم الإشارة

(١) المتنخل الهزلى . انظر : ٥٢٢ ، ٩٦٩ ، ١٠٧٩ .

(٢)شرح الحماسة ٤ / ١٥٨٩ .

صاحب عمرو الذي هو محمد بن سعيد الكاتب صاحب عمرو وههنا نوضح : محمد بن سعد صاحب عمرو قال :

**رَأَى زَلَّتى من حيثُ يَخفَى مكانُهَا فكانَتْ فَذَى عَيْنَيْهَ حتَّى تَجَلَّتِ**

وابن عنقاء قال :

**رَآني على ما بي عُمَيْلَهُ فاشتكى إلى ماله حالي ، أَسَرَّ كما جَهَرْ**

محمد بن سعيد بَيَّنَ أن عمرًا قد تفرَّس من خلال الحال الظاهرة ما تدل عليه من حاجة صاحبه وفقره وذلك يقوله : " من حيث يخفى مكانها " وهذه كناية عن أنه كان يتجمل ويظهر حسن الحال " فلا يَطَّلِعُ على حاله أحد إلا صاحب فطنة وجودة فراسه ، ثم عقب ذلك بيان السرعة في تدارك حال صاحبه فقال : فكانت قذى عينيه وهذه كناية أخرى عن تأذيه وتألمه بكشف ما أصاب صاحبه ، لم يهدأ نفسا ولم تذق عينه طعم النوم ولم يهنأ بالاً ( حتى تجلت ) تأمل ما في الكلمة من عطاء " تجلت " إن ما بصاحبه غمة قد ألمت به فلا صبر له حتى تنكشف وتنقشع .

وأزيدك على ما قال الإمام رضى الله عنه : إن محمد بن سعيد لم يبين : إن كان لعمرو مال يصلح منه حال صاحبه أم لا كما قد نص على ذلك ابن عنقاء في شأن صاحبه فقال : " فاشتكى إلى ماله " ( يعنى عميلة ) له مال لكن عمراً لم يظهر لنا إن كان صاحب مال أو لا ، لذلك كانت حاجة محمد قذى عينيه حتى تجلت ، أما ابن عنقاء فقد جعل صاحبه يراه وقد أزرى به الدهر فقد : ( رآنى على مابى ) نص على سوء الحال الظاهرة التي قد يكون منها من خلال الكلام : لم أنت هكذا ؟ فيجيبه : قد أصابني كذا وكذا فإن رأيت أن تصلح من شأني وتفعل بي ما يزيل تلك الحال . هذا بإزاء : قول صاحب عمرو : " من حيث يخفى مكانها " .

وبإزاء " فكانت قذى عينيه حتى تجلت " : " فاشتكى إلى ماله حالى " أي أنه لجأ إلى ماله فأخذ منه ما يزيل به شكوى صاحبه ، ولكن هذه الجملة هي إلى الذم أقرب منها إلى المدح وإن كان قد عبر بها عن قضاء مأرب صاحبه إلى أنه صور المال وكأنه شريك لصاحبه ، قد يزيل شكواه وقد لا يزيله الأمر محتمل ( فهي وإن عبرت عن إزالة الشكوى إلا أنها قد تفيد

عسر خروج المال من يد عميلة وقلبه ) أما صاحب عمرو فقد أجمل هذا الأمر وبين أن صاحبه قد قام بالأمر وقعد حتى أصلح شأن محمد من ماله من غير ماله لا نعلم .

## ( استحسان التصوير البياني )

**الحماسية الثلاثون بعد المائة للبعيث بن حريث :**

**٢- معاذ الإلهِ أن تكون كَظَبيةٍ ولا دُمْيَةٍ ، ولا عَقِيلَةِ رَبْرَبِ**

" معاذ انتصب على المصدر . والمعنى أستعيذ بالله أو أعوذ بالله معاذًا . كأنه أنف وصار يربأ بصديقته أن تكون في الحسن بحيث تُشَبَّهُ بالظبى أو الظبية أو بالصورة المنقوشة ، أو بكريمة من بقر الوحش ، كانت هذه الأشياء عنده دونها وقاصرة عن رتبتها . وقد سلك من المتقدمين امرؤ القيس هذه الطريقة فقال :

**كأنَّ دُمَى سَقْفٍ على ظَهْرِ مَرْمَرٍ كسا مُزْبِد السَّاجوم وشْيًا مُصوَّرًا**[١]

**غرائرُ في كِنٍّ وصَوْنٍ ونَعْمَةٍ يُحَلَّيْنَ يَاقُوتاً ودُرًّا مُفَقَّرا**

فشبه الدمى بالنساء ، لا النساء بالدمى . ومما يستحسن من هذه الطريقة قول أبي تمام :

**كأنما جاد مغناهُ دموعُنا يومَ بانُوا وهي تَنْهَمِلُ**[٢]

---

(١) البيتان من قصيدة لامرئ القيس في ديوانه مطلعها :

**سما لك شوق بعد ما كان أقصرا وحلَّتْ سليمى بطن قَوٍّ فعرعرا**

والبيت الشاهد مُسْتَغلقٌ معناه ، اضطربت فيه كلمات الشراح . انظر ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ٥٨ الطبعة الرابعة .

(٢) البيت لأبي تمام في ديوانه من قصيدة في مدح المعتصم بالله ، مطلعها :

**فحواك عينٌ على نجواك يا مَذِلُ حتَّام لا يتقضَّى قولك الخَطِلُ**

والضمير في قوله في بيت الشاهد ( مغناه ) يعود إلى الطلل المذكور في بيت قبل الشاهد انظر شرح ديوان أبي تمام ٢ /٥ – الخطيب التبريزي – تقديم راجى الأسمر دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية . ١٩٩٤م

لأنه شبه الأمطار المغيره لرسوم الديار بدموع العشاق . في إثر الأحباب يوم الفراق . والعقيلة : الكريمة من النساء والدر وكل شيء . والربرب القطيع من البقر" (١) .

وجه الاستحسان في هذه الشواهد التشبيه المقلوب الذي جُعِل فيه الأصل فرعًا والفرع أصلا بقصد المبالغة ، فقد استعاذ البعيث بالله من أن تكون صاحبته تُشَبَّهُ بالظبية أو بالدمية وهي الصورة المصورة التي يتنوق المصوِّر في صنعتها ، ويُبالغ في تحسينها ، أو تُشَبَّهُ بعقيلة الربرب ، وكأنه أنف من ذلك لعلو قدرها في الجمال على أن تشبه بهذه الأشياء مبالغة في ادعاء الحسن وفرط الجمال ، والبعيث حُقَّ له ذلك لأن زمانه قد تأخر عن زمن امرئ القيس الذي قد خطا بالتشبيه خطوة فجعل الفرع أصلا والأصل فرعا ، فشبَّه الدمى ( جمع دمية ) بالغرائر التي في كِنٍّ وصوْن ونَعْمَة " والغرائر : الغوافل عن الدهر لصيانتهن وتنعُّمهن . والكِنُّ : ما يُكْتَنُّ به عن الحر والبرد وهؤلاء الغرائر يُحَلَّيْنَ ياقُوتًا وشَذْرًا مُفَقَّرًا ، والشذر : قطع الذهب ، والمفقر : المصوغ على هيئة فقار الجرادة ، وهو مربَّع ، فوصفهن بأنهن ذوات تنعم وحُلِيٍّ (٢).

امرؤ القيس هو صاحب الابتداعات في المتقدمين ، لم يرض بأن يشبه نساءه الراحلات بالدمى الجميلة التي يتألق الصانع في صنعتها ، بل جعل هؤلاء النسوة الراحلات يُشْبِهُهُنَّ في جمالهن وحلاوتهن ونصاعة ألوانهن من أثركن التنعم تلك الدمى التي قد نُقِشَتْ على ظهر سقف من المرمر ، ( وهو من الأحجار الكريمة الناصعة الألوان تكون في الغالب بيضاء ولها ألوان أخرى ) وهذه الصور المنقوشة على ظهر سقف المرمر ، تضربها الشمس فتكسو وادي الساجوم الممتلئ بالماء انعكاس تلك الصور وشيا مصورا ثم يأتي بعد ذلك أبو تمام فيسلك تلك الطريقة في قلب التشبيه ، فيجعل الأمطار دموعا ، لا الدموع أمطارًا ، والعلامة المرزوقي يقصد بالتشبيه هنا التشبيه

(١) شرح ديوان الحماسة ١ / ٣٧٨ .
(٢) ديوان امرئ القيس / ٥٩ .

اللغوي لا التشبيه الاصطلاحي ، لأن الذي في بيت أبي تمام من باب الاستعارة المكنية ، فشبه أبو تمام الدموع بالغيث ثم أضمر التشبيه في نفسه وأثبت للدموع شيئا من لوازم المشبه به وهو قوله : " جاد دموعُنا " وهذا من لوازم الغيث لا الدموع ، فأبو تمام جعل الدموع أمطاراً على الاستعارة ، وأنا أظن أن المرزوقي رحمة الله جعل " ما " في قول أبي تمام " كأنما " موصولة ، وهي المشبه ، اسم كأن وجعل ( دموعُنا ) خبر كأن ، وعلى هذا يستقيم جعل تشبيه الغيث المفهوم من ( ما ) الموصولة مشبها بالدموع ، وإن كنت أرى أن مذهب أبي تمام في اتساع خطاه البيانية ، يعنى أن الذي جاد المغنى ، يعنى سقى المنزل ، فغيَّره ، هو دموع المحبين يوم الفراق وهي تنهمل ، والله أعلم .

**الحماسية الثامنة بعد المائتين : أبان بن عَبْدَة بن العيار :**

**٥- إذا نحن سِرْنا بين شَرْقٍ ومَغْـرِبٍ تَحرَّكَ يَقْظَانُ التُّرَابِ ونَائِمُـهْ**

" لم يرض بما انتهى إليه من الوصف في كثرته ( يقصد الجيش في البيت ٤ ) ، فزاد وقال : إذا سرنا بين مشارق الأرض ومغاربها طَبَّقْنا الأرض بكثرتنا ، فتزلزل لنا الطريقُ المسلوكة . واليقظانُ : ما وطئ بالأرجل وسُلِكَ ، فكأن ترابَه مُنْتَبِهٌ . والنائم : الذي لم يُوطَأْ ولم يُسْلَك ، فَكَأَنَّ ترابَه نائمٌ . وقد أحسن ما شاء في الاستعارة والطباق بالنوم واليقظة . وأما قول زهير :

**يُهَدُّ لَهُ ما دُونَ رَمْلَـةِ عَـالِجٍ ومَنْ أَهْلُهُ بـالغَوْرِ زَالَـتْ زَلازِلُـهْ**[1]

---

(١) هذا البيت من رائعة زُهَير بن أبى سُلْمى في مدح حِصن بن بدر الفزاري الذي أبى الضيم وامتنع على الملك عمرو بن هند :

**صحا القلبُ عن سلمى وأقصر باطلُه وعُرِّى أفراسُ الصبا و رواحلُه**

وقبل بيت الشاهد يقول :

**ومَنْ مثلُ حصْنٍ في الحروب ومثلُه لإنكار ضيمٍ أو لأمرٍ يُحَاولُه**

**إذا حَلَّ أحياءُ الأحاليفِ حولَه بذى لَجَبٍ أصواتُه وصواهلُه**

يُهَدُّ لَهُ ما بين .... البيت . ( وعالج ) رمال بين فيد والقريات .... على طريق مكة ... وهو مسيرة أربع ليال . انظر شرح ديوان زهير ١٤٤ صنعة الإمام أحمد بن يَحْيَى ثعلب – دار الكتب ١٩٤٤م .

فقد حسنه التقسيم وإن كان شأوه مقصوراً عن شأو هذا "[١].

المعنى المشترك : وصف كثرة الجيش . وقد حسَّن المرزوقي الحماسي على زهير ؛ لأن زهيراً مع أنه قد بالغ في وصف الكثرة بأن جعل " ذى لجب " وهذا كناية عن موصوف يقصد الجيش = يُهَدُّله ما دون رملة عالج وهي مساحة عظيمة ، هذا الجيش يُسْمَع صوته وجلبته في هذه الأرض الشاسعة هذا جيش صوته عظيم فظيع كصوت الهَدْم ، وتبلغ جلَبته وصهيل خيله مَنْ أهلُه بالغور وهم أهل مكة وتهامة = إلا أنه قد كان في الحسن دون قول الحماسي :

**إذا نحن سِرْنا بين شَرْقٍ ومَغْـرِبٍ تَحرَّكَ يَقْظَـانُ التُّـرَابِ ونَائِمُـهْ**

لأن زهيراً سلك طريق التقرير والحماسى جنح إلى التصوير والخيال.

يقول المرزوقي : " وقد أحسن ما شاء في الاستعارة والطباق بالنوم واليقظة " لك أن تجعل ( يقظان التراب ) استعارة تصريحية في يقظان وتشبيه إثارة التراب باليقظة بجامع التحرك في كل ، ثم تجعل " نائمة " استعارة أخرى على استعارة النوم لهمود التراب بجامع السكون في كل . هذه واحدة . ولك أن تجعل الاستعارة في التراب ويكون من باب الاستعارة المكنية ، ولك أن تجعل الأسلوب من باب المجاز المرسل في لفظ التراب على اطلاق التراب وإرادة الناس العلاقة اعتبار ما كان ( الأصل ) الجملة طيِّعة . على أن أفضل التأويلات عندي هو الاستعارة المكنية التي تلمح فيها حياة التراب وتتخيل تراب الأرض وقد أثير بالحركة فاستيقظ نائمة لجلبة الجيش ، على أن قصد الشاعر بيقظان التراب الأماكن المطروقة التي يثير ترابَها الوطءُ ونائِم التراب الأماكن المهمورة غير المُعَبَّدة ، التي لم تطرقها الأقدام والغرضُ الكناية عن مدى عظم هذا الجيش وكثرته وشدة صوته وجلبته ، وحُقَّ لهذا الحسن أن يتقدم مع هذا الطباق العفوي بين يقظان التراب ونائمه .

(١) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٦٣٦ .

الخلاصة : تبعيد الشأو بالاستعارة والطباق .

**الحماسية الثالثة عشر لتأبط شرًا :**

**٥- ويَسْبِقُ وفدَ الريحِ من حيثُ يَـذْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ من شَدِّهِ المتدارِكِ**

" الشاعر إنما يصف خفته وتشمره وجدَّه وتيقظه ، فيقول : من حيث اعتمد في السير جاء سابقا للريح بَعَدْو له واسعٍ من عَـدْوه . المتـدارك : المتتابع ، وجعل العدو منخرقا لاتساعه . والمتدارك . المتلاحق ... وأخـذ أبو تمام هذا فزاد عليه وإن كان في لفظه ركاكة ، فقال :

**فَمَرَّ ولو يُحَارِي الريحَ خِيلَـتْ لَدَيْهِ الريحُ تَرْسُفُ فِي القُيُودِ** "(١)

المعنى المشترك : وصف السرعة .

قد جاء به تأبط شرًا على أحسن ما يكون فأخبر عن ممدوحـه بـأن عدوه في غاية السرعة والمعتاد في تصوير السرعة أن تشبه بالريح فـأخبر تأبط شرًا أن ابن عمه الممدوح في غاية من النشاط وخفة الحركة والتـيقظ فمن حيث اعتمد في عدوه جاء سابقاً للريح وفي البيت إشارات ففي قولـه : ( وفد الريح ) يعنى تجمعا من الريح قويًّا مندفعًا كأنه وفد ، أو يكون وفـد الريح الجهة التي يفدِ منها وهذا السبق يكون منه على أي جهة كان سـيره سواء سَيرُه صادف هذا الجهة المدبرة منه للريح فتدفعه أم صادف اسـتقباله للريح فتصده ، فهو سابق للريح على أي جهة كان عدوه وذلك يكون منـه بعدو من شدّة المتدارك ، ثم وصف شدة المتدارك بالمنخرق أي المتسـع ، فجعل المنخرق وصفا للعدو على المجاز العقلي ، وإنما المنخرق الشـخص نفسه في سيره . ومهما يكن من شيء فإن تأبط شرًا قد لزم المعتاد في جعل الريح مقياس السرعة والتصوير .

أما أبو تمام حينما أخذ هذا المعنى وهو سبق الإنسان للريح ، فقد قفز بالتشبيه قفزة بيانية غير معتادة فجعل الريح بالإضافة إلى الموصوف كأنـه شخص مقيد . حدث بُعْدٌ في الدلالة على المقصود فأُصيب البيت بالركاكـة والمعهود في كثير من صور أبي تمام القفز بها من محيطها البياني المعتـاد

(١) شرح ديوان الحماسة ١ /٩٦ .

إلى شيء لم يألفه الناس في استعمالاتهم البيانيـــة وذلـــك كاســـتعماله لفـــظ الأخدعين في قوله :

**يا دهر قوم مـــن أخـــدعيك فقـــد أضججت هذا الآثـــام مـــن خُرقـــك**

يقول عبد القاهر : " إنك ترى الكلمة تروقك ونؤنسك في موضع ، ثم تراها بعينها تثقل عليك ، وتوحشك في موضع آخر ... ثم إنك تتأملها فـــي بيت أبي تمام ... فتجد لها من الثقل على النفس ، ومن التنغيص والتكدير ، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة " [(١)] وما كان هذا في ظنـــي إلا من أن أبا تمام لم يكتف بأن جعل من الدهر شخصاً يخاطبه كما يفعل الناس في قلابهم ، بل جسد الدهر وجعل له أخدعين يصعرهما للناس ، فهدده وقال : قوّم أخذ عليك . أقوال تلك قفزات في الدلالة البيانية لـــم تأخـــذ طريقهـــا المعتاد في تطريق الأسلوب والوصول به إلى تلك المرحلة ولذلك وصـــف الأسلوب من المرزوقي بالركاكة التي تقابل الفصاحة ، والفصاحة قائمة على إيضاح الدلالة وسهولة الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني

الخلاصة : الحط من الأسلوب لعدم مراعاة الفصـــاحة فـــي تـــدرج الدلالة.

**الحماسية التاسعة والأربعون بعد المـــائتين . وقـــال العُـــدَيْلُ بـــن الفَـــرْخِ العِجْلِيّ[(٢)]:**

**١٠- كَفَى حَزَنًا أَنَّا أَزَالَ أَرَى القَنَـــا يَمُجُّ نَجِيعًا مِنْ ذِرَاعِي ومن عَضْـــدِي**

المعنى : كفى من حزن أني لا أزال أرى الرماح تصـــب دمـــا مـــن ذراعي ومن عَضْدِي ، أي من قوم بهم أبطش وأعتز ، فهم منـــى بمنزلـــة

(١) دلائل الإعجاز / ٤٧ – طبعة محمود محمد شاكر .

(٢) العُدَيل بهيئـــة التصـــغير ، بـــن الفَـــرْخ بفـــتح الفـــاء ، وقيـــده فـــي خزانـــه الأدب ٢ / ٣٦٨ بضمها ... شاعر إسلامي في الدولة المروانية ، كان قد هجا الحجاج وهرب منه إلى قصير ملك الروم ، فبعث إليه : لترسلن به أو لأجهزن إليك خيلا يكون أولها عندك وآخرها عندي . فبعث به إليه ، وجرى بينهما حديث انتهى بالعفو عنه . الخزانة والأغـــاني ٢٠ / ١١ –١٩ ، والاشـــتقاق ٢٠٨ والشـــــعر والشـــــعراء ٣٧٥ – ٣٧٧ " أ هـــــ هـــــامش شـــــرح ديـــــوان الحماسة ٢ / ٧٢٩ .

الذراع والعَضُد . وهذا في الاستعارة لمن يقوى به الرجل . ويعتضد أبلغ وأشبع وإن تساوت الطريقتان من قول الأخر :

**فإن أك قد بَرَدْتُ بهم غليلي فلم أقطع بهم إلا بناني**(١)

وقد قيل " أخ الرجل عضده " . والمج : إخراج الماء من الفم ، وتوسعوا فقالو للمطر : هو مُجَاجُ السحاب . والنجيع : دم الجوف . ويقال تنجع الرجل . إذا تلطخ به (٢) " .

**المعنى المشترك : تصوير فقد من يتقوى به الرجل :**

وقد فاز سهم الشاعر الإسلامي في هذا التصوير حيث استعار الذراع والعضد لمن يتقوى به ويستعين ، والذراع والعضد خير من يمثل ذلك ، فهما كما يقول المرزوقي في الاستعارة أبلغ وأشبع ، على حين استعار قيس بن زهير بنان الأصابع وليس البنان أحقَّ بالمعنى في هذا الموطن .غير أني أرى هذا الشعر يمثل قيس بن زهير خير تمثيل ، فهو سيد جاهلي ممتلئ ببأو الجاهلية ، وفخرها ، حين يصور من كان يقاتلهم من أبناء عمومته لا يَظهَرُ في صورة الضارع الخاشع المتذلل ، وإنما يقول : هم كانوا لي بفقدهم مجرد نقص في الصورة ، لا يؤدي نقصهم إلى بتر وضياع ، فيساعده على ما نفسه استعارة البنان لفقدهم ولا يُصِّورُه استعارة العضد والذراع .

هذا وقد رأى المرزوقي في استعارة البنان لفقد من يتقوى به إجاعة في المعنى وهذا يخالف ما قرره في عمود الشعر بقوله :

" إنهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته ، وجزالة اللفظ واستقامته والإضافة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر

(١) هذا بيت ثاني بيتين من الحماسية الرابعة والأربعين لقيس بن زهير العبسي ، وهو شاعر جاهلي ، كان سيد عبس ، وكانت له ضلع كبيرة في حرب داحس ، وهو صاحب داحس . انظر : أمثال الميداني ٢٥٠/١ والأغاني ١٤٣/٧ ، ١٦ /٢٣ والعقد وكامل ابن الأثير وغيرهما ، في حرب داحس والغبراء. أ هـ هامش شرح ديوان الحماية ١ /٢٠٣ .

(٢) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٧٣٤ .

الأمثال ، وشوارد الأبيات – والمقارنة في التشبيه ، والتحام أجزاء النظم والتئامها علىَ تخير من لذيذ الوزن ، ومناسبة المستعار منه للمستعار له ، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائها للقافية حتى لا منافرة بينهما – فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر .. "[١] فكان اللفظ في كلام قيس غير مشاكل لمعناه بحال .

**الخلاصة** : تقديم الإسلامي على الجاهلي للإتيان باللفظ الذي هو أحق بالمعنى .

**الحماسية الرابعة والستون بعد المائة للربيع بن زياد العبسي :**

**٥- عطفنا وراءك أفراسنا وقد أسلم الشفتان الفما**

" يقول : تعطفنا عليك في ذلك الوقت ، ودافعنا دونك ، وقد كَشَرت الأسنان وأسلمتها الشفاه ، تقلصا عنها وببوسة حادثة فيها . وذكر الفم كناية عن الأسنان ؛ كما يقال فض الله فاه . ويقال في هذا المعنى : ذَبَّتْ الشفاه[٢]. ومثل قول عنترة :

**إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم** [٣]

والواو من قوله قد أسلم الشفتان واو الحال . والاستعارة بإسلام الشفتين في نهاية الحسن ".[٤]

المعنى المشترك : تصوير وقت الشدة أثناء الحرب

استحسن المرزوقي شعر الربيع وجعله في نهاية الحسن ؛ لأن الربيع حينما كنَّى عن هذا الوقت ، جعل الكناية قائمة على الاستعارة في قوله : أسلم الشفتان الفما ففيه تصوير لمقاومة الشفتين إلى آخر لحظة حتى فقدتا القدرة على التماسك فأسلمتا الفم ، والفم هنا مجاز مرسل بعلاقة الكلية حيث

(١) مقدمة شرح ديوان الحماسة / ٩ .
(٢) ذبت : ذبلت وجفت من العطش أو غيره .
(٣) صدره : ولقد حفظت وصاة عمى بالضحى .
(٤) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٤٨٧ .

أُطلق الفم وأُريد الأسنان . المهم أن الربيع بإسناده اسلم إلى الشفتين جعل الكلام استعارة مكنية حسنة تصور الشفتين تصوير الإنسان المستبسل حتى النهاية .

أما عنترة فقد عبر باللفظ الحقيقي المعبر عن المعنى من غير تصوير وهو قلوص الشفتين . وإن كان قد استعمل المجاز أيضا في قوله : وضح الفم كما مر ، إلا أنه لا يصل إلى حسن شعر الربيع لفقدان التصوير البياني.

**الخلاصة** : استحسان شعر الربيع لما فيه من صورة بيانية رائعة .

## ( استحسان الأبلغية )

**الحماسية الثانية لشهل بن شيبان :**

**٧- وَطَعْنٍ كَفَمِ الزِّقِّ غَذَا وَالزِّقُّ مَلَانُ**

**" هذا الوصف أبلغ من قول النابغة :**

**" وَطَعْنٍ كَإِيزَاغ المخَاضِ الضَّوَارِبِ "** (١)

وهذا التشبيه أبرز ما يقل في الاعتياد في صورة ما يكثر فيه . ومثله :

**فَجَبَهْنَاهُم بِضَرب كمَا يَخْـ ـرُجُ مِنْ خُرْبَةِ المَزَادِ المَاءُ**(٢)

أي : وبطعن في اتساعه ، وخروج الدم منه كفم الزق إذا سال بما فيه وهو مملوء . وغَذَا يَغْذُو غُذُوًا ، إذا سأل . وغَذَاهُ بَغْذُوًا والاسم الغذاء (٣) "

وجه الأبلغية في وصف شهل بن شيبان وتفضيله على قول النابغة أن شهلا شبه أثر الطعن في إخراج الدم واندفاع الدم بسرعة وكثرة بفم القربة الممتلئة التي سالت فجأة : كفم الزق إذا ( سال ) والزق ملَان أي سال حال كونه ممتلأً ، فهذا الوصف فيه الكثرة والاندفاع في السرعة معا ، أما بيت النابغة فإن كان فيه سرعة الدفق الآتية من تشبيه خروج الدم بخروج بول

(١) ويروي : " كايزاغ " بالعين المعجمة . وصدره كما في ديوانه ٨ :

بِضَرَبٍ يُزَالُ الهَامُ عَنْ سَكَنَاتِه ∴

(٢) البيت للحارث بن حلزة اليشكرى في معلقته . شرح القصائد العشر للتبريزي ٢٦٦ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ / ٣٧ .

الإبل المخاض ، دفعة دفعة ، فليس فيه تصوير كثرة الدم الذي في التشبيه بالزق الممتلئ .

**الخلاصة :** وجه التفضيل والأبلغية : الإحسان في التشبيه بانتقاء مادة المشبه به المعبرة عما يريده الشاعر .

**الحماسية الثانية والخمسون بعد المائة : عبد الشارق بن عبد العزى**

**٣- فأرسَلْنا أبـا عَمْـروٍ رَبيئًـا فقالَ ألَـا انْعَمُـوا بـالقَوْمِ عَيْنًـا**

يقول : توجهنا نحوهم وأنفذنا مِن قِبَلنا من ارتبأ لنا ، فعاد مبشرا وقال : قروا عينا واستبشروا ، فقد أقبلوا . وهذا مما يترجم عن محبتهم لملاقاة الأعداء ، وحرصهم على القتال ، وتشوفهم للمجاذبة والنزاع ، حتى عدوا قربهم بشارة ، والالتقاء معهم غنيمة . وهذا عندي أبلغ من قول الآخر :

**يَسْتَعْذِبُونَ مَنَايَاهُمْ كأنهم لا يَيْأسُونَ من الدنيا إذا قُتِلوا**

ومن قوله : لِقاءُ أَعَادَ أم لِقَاءُ حَبَائبِ

وقوله " عينا " انتصب على التمييز ، وهو من باب ما نقل الفعل عنه ووضع النكرة فيه موضع المعرفة ؛ لأن الأصل في قرِرْتُ به عينا : قرت عيني . ومثله قولهم : يتصبب عرقا ، ويتفقأ شحما . وفي القرآن : " واشتعل الرأس شيبا " (١)

المعنى المشترك : محبة ملاقاة العدو والحرص على القتال

قدم بيت الحماسي في هذا المعنى وعد أبلغ من قرينيه ، لأنهما أتيا بالتعبير عن هذا المعنى بالأسلوب المباشر فقال الأول : إنهم يعدون الموت شيئا عذبا طيبا كأنهم حينما يقتلون سوف لا يتركون الدنيا ويخلدون ، أما الآخر فقد عبر عن هذا المعنى بالأسلوب الإنشائي الاستفهامي التعجبي : ما هذا الذي أراه من فرحتهم بلقاء الأعداء ؟! أهذا لقاء أعاد ، أم لقاء حبائب ، المضمون أنهم يحبون لقاء العدو .

(١) شرح ديوان الحماسة ١ /٤٤٤ .

والمهم أنهما لم يقعا موقع بيت الحماسة من الحسن والبهجة ، لأنه عبر بأسلوب فيه إثارة وغرابة جاء على سبيل القصص ثم كنى عن المعنى المراد يقول : أرسلنا أبا عمرو ( أحد رجالاتهم ) عينا يرقب مقدم الأعداء ، فجاء متهللا مستبشرًا : ألا انعموا بالقوم عينا ، وهذا كما يقول الإمام المرزوقي : " مما يترجم عن محبتهم لملاقاة الأعداء " حتى عدوا قربهم بشارة إلخ إذن هو فارق غيره بالكناية عن المعنى .

**الخلاصة** : التقديم لطرافة الأسلوب ثم الإتيان بالمعنى بطريق الكناية .

**الحماسية السادسة والثلاثون بعد المائتين : وقال آخر :**

**٣- سَقَاهُ الرَّدَى سَيْفٌ إِذَا سُلَّ أو مضَتْ إليه ثَنَايا الموتِ من كُلِّ مَرْقَبِ**

" هذا مثل قول تأبط شرًا :

**إِذَا هَزَّهُ فَى عَظْمِ قِرْنٍ تهلَّلتْ نوَاجِذُ أَفْواهِ المَنَايا الضَّوَاحِكِ**

وإن كان هذا أبلغ ؛ جعَل ضَحِكَ الموتِ تأَلُّقَ السيف إِذَا جُرِّدَ مِنْ الغِمدِ سُرُورًا به ، وذلك جعله إلى المضروب به ثقة بكونه له [1] "

**المعنى المشترك** : استبشار الموت ثِقَةً بالظفر بالميت ، والإمام المرزوقي جعل قول الحماسي : سقاه الردى ... إلخ أبلغ من قول تأبط شرًّا: إذا هزه ... إلخ ولا أدري أيقصد أبلغ من الإبلاغ في المعنى وهو نوع من المبالغة أم يقصد أبلغ من الأبلغية والبلاغة . على كل حال البيت الأول فيه مبالغة في المعنى لأنه جعل ثنايا الموت من كل مرقب تبتسم وتشرق بمجرد سل السيف ، ثقة بكون هذا السيف لابد من أن يميت من يصل إليه ، أما قول تأبط شرًّا فقد كان قاصراً في المعنى لأنه جعل تهلل نواجذ المنايا يكون عند هز السيف في عظم القرن ، فيا بعد ما بين المعين في المبالغة في المعنى ، وإن كان بيت تأبط شرًّا لا يخلو من ملاحة في تشخيص الموت وتوزيعه

(١) شرح ديوان الحماسة ٢ / ٦٩١ .

وانتشاره في مكان الضرب ، وجعلها أي المنايا تنظر وتراقب متهللة نواجذُها استبشارًا بالظَفَر بالمضروب .

**الخلاصة :** التفضيل هنا كان للإبلاغ في المعنى والزيادة في الوصف.

**الحماسية الحادية والستون بعد المائتين وقال آخر** (١) **:**

**١- أتاني عن أبي أَنَسٍ وَعِيدُ فَسُلَّ لِغَيْظَةِ الضّحاكِ جِسْمِي**

**٢- ولم أَعصِ الأميرَ وَلَمْ أُرِبْهُ وَلَم أَسْبِقْ أبا أَنَسٍ بِوَغْمِ**

" الأغلب في الظن بقائل الأبيات أن يكون قصد بها الهُزْءَ والتملح وفي طريقتها قول الآخر (٢) :

**إنى أعوذُ بِرَوْحٍ أن يُقَرِّبني إلى القتالِ فَيخْزَى بي بنو أَسَد**

**إن المهلب حُبَّ الموتِ أورثكم ولم أرِث نجدة في الحرب عن أحد**

**إن الدنو من الأعداء تَعْلَمُه مما يفرق بين الروح والجسد**

ولبعضهم :

**باتت تُسَخِفُّنِي هندٌ وقد عَلِمت أن الشجاعةَ مقرونٌ بها العَطَبُ**

**يا هند لا والذِي حَجَّ الحجيجُ له ما يشتهى الموتَ عندى من له أدب**

**للحرب قَوْمٌ أَضَلَّ الله سعيهم إذا دعتهم إلى أهوالها وثبوا**

**ولست منهم ولا أرضى فَعَالَهم ما القتل يعجبني منهم ولا السلب**

وأبلغ منه قول الآخر :

**اثنان منا يغلِبَانِ وَاحِدًا إذا تعاوَنَا وكان رَاقِدَا "**(٣)

(١) قال التبريزي : " وقال شقيق بن سليك السدي ، وهو شاعر إسلامي ، يقول هذا الشعر معتذرًا إلى الضحاك . وهو أبو أنس الضحاك بن قيس بن خالد الشيباني الفهرى . شهد صفين مع معاوية ، وغلب على دمشق ، ودعا إلى بيعة ابن الزبير ، ثم دعا إلى نفسه . وقتل بمرج راهط سنة ٦٥هـ الإصابة ٤١٦٤ وتهذيب . أ هـ هامش شرح ديوان الحماسة ٢ / ٧٧٧ .

(٢) هو أبو دلامة كما في عيون الأخبار ١ / ١٦٤ ، والأغاني ٩ / ١١٩ – ١٢٠ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ٢ /٧٧٧ .

" فأما قوله " فسُلَّ لغيظة الضحاك " فالضحاك اسم أبي أنس . ومعنى سُلَّ : ذاب ، كجسم من به السُّلَال ، وهو داء معروف وقال " غيظة " لأنه أراد المرة الواحدة .

وقوله : " ولم أُرِبْهُ " يروى بفتح الهمزة وضمها ، والفرق بينهما أنه يقال : رابه الدهرُ إذا قصده بَرْيَبه وحوادثه ، وأرابه : أتاه بِريبة . والوغم : التِّرَةُ والذَّحْل .

المعنى المشترك بين الشعراء الهزء من الشجاعة وتصوير مدى الجبن .

١- أبيات شقيق صاحب الحماسية يعتذر فيها للضحاك بن قيس ، وبين جبنه وخوفه من الذهاب إلى الحرب وأنه قد أعطى الرشوة لمن يتولى أمر بعوث الجند حتى يتركه ينعم بضجعة في الحي . هذه خلاصة أبيات سقيق في الحماسية كاملة .

٢- أبيات أبي دلامة يقرر فيها أنه لم يرث النجدة عن أبائه كما ورثها آل المهلب بن أبى صفرة عن آبائهم وأن الدنو من الأعداء مما يفرق بين الروح والجسد فاستعاذ يمن اسمه روح في أول بيت أن لا يقربه إلى القتال فيكون فضيحة على بني أسد لفظاعة ما يُرى من جبنه وخوفه وفراره .

٣- أما صاحب الأبيات الثالثة ( ولبعضهم ) فقد أخبر أن الشجاعة مقرون بها الهلاك ولا يشتهيها عنده من له أدب ، أما الحرب فلها أقوام قد جنوا وأضل الله سعيهم يثبون إلى الحرب سريعا وهو ليس واحداً منهم ولا يرضى فعالهم فلا يعجبه القتل ولا يرضيه ما يغنمه .

الكل يسخر من الشجاعة وأهلها وأنها جنون ويمدح في رأيه الجبن والقعود عن القتال وقد أعلمنا الأمام المرزوقي بأن صاحب البيت وهو الرابع منهم أبلغ من الجميع في تصوير الهزء والملاحة والتهكم من حاله : فقال

**اثنان منا يغلِبَانِ وَاحِدًا إذا تعاونَا وكان رَاقِدَا "**

كلمة أبلغ في هذا المثال تعنى أنه قد عبر عما يرويدن تصويره من الملاحة والسخرية من مدى جبنهم وفسالتهم بأسلوب أبلغ في أداء من المعنى من أساليبهم جميعا ؛ لأنهم حاولوا أن يسخروا بالشجاعة ويشيدوا بالجبن بكلام مرسل القصد به التهكم وأما صاحبنا فقد أوجز مدى جبن قومه وخورهم وصور ذلك في صورة سهلة خفيفة فقال :

إذا أراد أحد أن يتصور مدى شجاعتنا وبسلتنا ونجدتنا فإن اثنين منا قد يغلبان واحدًا ولكن بشرط أن يتعاونا ، وأن يكون هذا الواحد راقدًا .

أعطاك المعنى في صورة ( كاركاتورية ) ضاحكة في أوجز لفظ فكان أحسن الجميع وأملحهم ولم يطل في الكلام .

**الخلاصة :** التقديم للأبلغية كان للتعبير عن المراد بصورة كنائية – مع الإيجاز الشديد .

**الحماسية الثلاثون بعد الثلثمائة ، قسام بن رواحة السنبسي :**

**٤– عَسَى طَيِّءٌ مِنْ طَيِّءٍ بَعْدَ هَذِه ستُطْفِي غُلَّاتِ الكُلَى والَجوانِحِ**

المعنى : المطموع فيه من أولياء الدم أن يطلبوا الثأر في المستقبل ، وإن كانوا أخروه إلى هذه الغاية ، فتسكن نفوس وتبرد قلوب . وقد آلم بهذا الكلام كل الإيلام لما ختم به كلامه المتقدم . وأبلغ من هذا قول الآخر ، وهو في طريقته :

**وَإِنّى لَرَاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سْعِيكُمْ كَمَا فِي بُطُنِ الحَامِلَات رَجَاءُ "**[1]

المعنى المشترك : التفريع والإيلام على تأخير إدراك الثأر

١– صاحب الحماسية رجى أن يأتي من نسل طئ من يبرد حرارة الغيظ بإدراك الثأر وكأنه قطع الرجاء من هذا الجيل من رجال قبيلة طئ .

٢– أما الشاعر الآخر :

**وَإِنّى لَرَاجِيكُمْ عَلَى بُطْءِ سْعِيكُمْ كَمَا فِي بُطُنِ الحَامِلَات رَجَاءُ "**

(١) شرح ديوان الحماسة ١ / ٩٦٠ .

فقد كان أبلغ من الحماسي ؛ لأنه قد صرح بالرجاء المتعلق ببطء السعي ثم شبه انتظار هذا الرجاء بمن يتربص بالحاملات ويرجو ما في بطونها ، فكأن هؤلاء المتأخرون في إدراك الثأر يشبهون تلك النوق الحوامل التي لابد من الانتظار زمانا حتى يتكون الجنين ويتخلق في بطونها ثم يُيَسَّرُ عليها الولادة ، وهذا هزؤ ما بعده هزؤ .

**الخلاصة :** التقديم للأبلغية كان بالتصريح بما يريد الإيجاع به ثم الاتباع بصورة تشبيه تؤكد الإيلام .

**الحماسية السادسة والأربعون بعد المائة السابعة ، وقال آخر :**

**١- إذَا هي لَمْ تَمْنَعْ برِسلٍ لحومَها من السيفِ لاقَتْ حَدَّهُ وَهْو قَاطِعُ**
**٢- نُدَافِعُ عَنْ أحسابِنَا بلحُومِها وألبانِها إنَّ الكريمَ يُدَافِعُ**
**٣- وَمَنْ يَقْتَرِفْ خُلْقًا سِوَى خُلُقِ نفسِه يَدَعْهُ وتَرْجِعْهُ إليه الرَّواجِعُ**

قوله : " إذا هي لم تمنع " يعنى الإبل ، فيقول : إذا لم يكن في النوق لبن تحمي نفوسها به من العقر عند نزول الضيفان لاقت حد السيف وهو يجزرها ويقطعها . ومثله قول الآخر :

**وإن تَعْتَذِرْ بالمَحْلِ من ذى ضُروعها على الضيفِ يَجْرَحْ في عَراقِيبَها نَصْلِي**

وأبلغ منهما قول الآخر [١] :

**فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمامَه إذا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَوْ تُنْحَرَ الجُزْرُ**

وقوله " ندافع عن أحسابنا بلحومها " يريد بإطعام لحومها ، وسقى ألبانها ؛ لأن عادتنا تفرض علينا المدافعة عن الكرم ، والمحاماة عن الشرف ، وذلك خلقنا الذي نشأنا عليه ، وننبت فيه ، ومن يتعاط خلقا مستجدا مخالفا لما ألفه وتعوده يفارقه ويرجع إليه الخلق الأول " [٢] .

(١) هو الأبيرد اليربوعي . شاعر بدوي من شعراء صدر الإسلام وأول دولة بنى أمية من شعراء الحماسة .فهو صاحب الحماسية ٣٨٤ ومنها هذا البيت

(٢) شرح ديوان الحماسة ٤ / ١٦٩٣ .

المعنى المشترك : الاعتداد بإكرام الضيف

١- صاحب الحماسية تكلم فقال إن إبله إذا لم تحم لحمها بـــإدرار اللـــبن لاقت من السيف حده القاطع ، وهم بهذا الفعل وهو إطعام اللبن أو اللحم إذا يوجد اللبن إنما يدافعون عن أحسابهم ومناقب آبـــائهم ، وأن هـــذا طبيعة فيهم جبلوا عليها .

٢- فجاء الآخر وقال : وإن تعتذر بالمحل .... إلخ فأعاد المعنـــى الأول وهو أن الإبل إن لم تجد بدر اللبن ذبحت للضيف .

٣- فجاء الأخير فقال :

**فَتًى لا يَعُدُّ الرِّسْلَ يَقْضِي ذِمامَـــه إذا نَزَلَ الأَضْيَافُ أَوْ تُنْحَرَ الجُـــزْرُ**

فكان أبلغ من هذين اللذين اعتدا بإطعام اللبن . الأبلغية جـــاءت فـــي رأيي من جودة المعنى أولا ومن الصياغة ثانيا ، ثم من الإيجاز البليغ فـــي البيت أما المعنى فإنه قد كان من أن الذي يقضى ذمامه وحرمة الضيف عليه ليس هو سقي اللبن للضيف فإن لم يوجد فإطعام اللحم ثـــم الاعتـــداد بـــذلك واعتبارها منقبة ، بل إن الذي يجب عليه من أول الأمـــر ويحتمـــه الكـــرم والمروءة إنما هو نحر الإبل عند نزول الأضياف ولا يعد سقى البن يقضي ما عليه من واجب نحو الضيف .

أما من ناحية الصياغة فابتداؤه بقوله : فتى بحذف المسند إليه علـــى عادتهم في المديح وكأن الحذف إشارة إلى الخبر ( المسند ) بما معـــه مـــن صفات إذا أطلق فلا يتعين إلا لهذا المسند إليه المتحدث عنه ، ثـــم يأتيـــك التنكير في فتى للتعظيم والاشادة والتمكين للصفة التي هي موضع الحديث : لا يعد الرسل " الذي هو سقى اللبن ، يقضى ذمامه إلخ – الإيجاز الشديد مع الإبلاغ في المعنى .

**الخلاصة** :التقديم للأبلغية كان : لارتفاع المعنى مع الايجاز الشديد .

## ( الاستحسان غير المعلل )

**الحماسية الرابعة الثلاثون بعد المائة السابعة ، حَزَازُ بن عمرو :**

**٤- ونُؤْلِفُها في السِّنينَ الكُلُّولَ إذَا لَمْ يَجِدْ مَكْسَبًا كاسِبُ**

**٥- ولم تَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَتْ عَلَى الحَيِّ يُلْفَى لها جَادِبُ**

**٦- حَبَانَا بِهَا جَدُّنَا وَ الِإلَهُ وَضَرْبٌ لنا خَذِمٌ صَائِبُ**

قوله : " ونؤلفها في السنين الكلول " يعني بالسنين الأعوام التي تقل الأمطار فيها وتشمل الناس الآفات لها .... وأراد بالكلول من كان كلا على صاحبه وعيالا لمعيله ، لا يحسن التوجه لكسب ، ولا يهتدى لارتزاء خير وترقيح عيش ، كالأيتام والأرامل وذوى العاهة . وقوله : " إذا لم يجد مكسبا كاسب " بدل من قوله في السنين . أي إذا اشتد الزمان وتضايقت الخطوب بما يعم من القحط ، وأعوز الكاسبين كسبهم فلزموا مقارهم آيسين من إقبال الزمان وأهله ، جعلنا إبلنا يألفها كلول الناس فينالون منها ، ويعيشون فيما يعود عليهم من ألبانها ومنافعها . وقوله : " ولم يك يوما إذا روحت " يريد : ردت في مراعيها رواحا فوردت عليَّ لم يوجد لها عائب يعيبها ، أي لم يوجد لأربابها من يعيبهم فيرميهم بالبخل والإمساك . وإنما قال " يلفى لها " لأنه يريد يلفى من أجلها . والجادب : العائب .

كأن المراد اتفاق الناس على حمدهم ، وتفى العيب على العلات كلها عن أخلاقهم ، وتسليم الفضل والإفضال لهم .... وهذه الأبيات يزيد تفاصيلها على جملها عند الفحص عنها . وقد وقع دون غايتها قول الآخر [1] وقد سلك مسلكه في تعداد مصارف أموالهم :

---

(١) يقصد بالآخر صاحب الحماسية السنين بعد المائة وهو عمرو بن كلزم النعلى من بنى تغلب بن وائل شاعر جاهلي من أصحاب المعلقات وأمه ليلى بنت مهلهل بن ربيعة أخى كليب ومما يؤثر عنها وعن ابنها أن عمرو بن هند قال ذات يوم لندمائه : هل تعلمون أحداً من العرب تأنف أُمُّه من خدمة أمى ؟ فقالو : نعم ، عمرو بن كلثوم ( قال : ولم ؟ قالوا : لأن أباها مهلهل بن ربيعة ، وعمها كليب وائل أعز العرب ، وبعلها كلثوم بن مالك فارس العرب وابنها عمرو وهو سيد قومه ... " شرح الحماسة للنبريزى ١ / ١٨٢ يحيى بن على بن محمد الشيباني النبريزى أبو زكريا ت ٥٠٢هـ ، دار القلم – بيروت .

**ثلاثــةُ أثــلاثٍ ، فأَثْمَــانُ خَيْلِنَــا وأقواتُنا وما نَسُوق إلــى العَقْــل**

وإن اختلفت الطرقتان . وكل يدعو إلى نفسه فــي حســنه وشــموله واستيفائه "[١]

لم نجلص بيت عمرو لما خلص له أبيات حَزَازِ بن عمــرو [٢] ؛ لأن أبيات حزاز قد عالجت جانباً واحدًا وقد أشار إليه بيت عمرو إشارة خاطفة ، الغرض الذي " تأصلت له أبيات حزاز هو الحديث عن الكرم ، وبيت عمرو عالج عدة أمور منها الكرم اقرأ معي شرح المرزوقــي لبيــت عمــرو : " اخترقت أموالنا فرقا ثلاثا ففرقة منها صرفناها إلى أثمــان خيلنــا ؛ لأنــا غُزَّاوُن، ومعالجو حروب . وفرقة منها حبسناها على أقواتنا ومعايشنا ؛ لأن العُفاة والزُّوار كانت تنتابنا وقد ناوب عليها حتى تستغرقها ؛ لأن إقامتنا بدار الحفاظ شغلتنا عن الغزو واجتذاب الزيادة إليها . وفرقة منها وجهناها إلــى الديات ، وأُروش الجنايات التي كسبتها أيدينا ، واجترحتها رماحنا ؛ إذ كنــا لعزنا ومتعتنا لا يُطْمَعُ في الاقتصاص منا [٣]

بيت عمرو المفضول ، قبله :

**فما أبقت الأيــام م المــال عنــدنا سوى جذم أذواد مُحَذَّفَــةَ النســل**

وبعده البيت المفضول : ثلاثة أثلاث : فأثمان خيلنا ∴ وأقواتنا ومــا نسوق إلى العَقْلِ ( قوله " م المال " جاء مكتوبا بالوصل هكذا ملمــال وقــد قرأت صواب كتابته قديما في كلام العلامة محمود محمد شاكر أنه يكتــب هكذا م المال ) عندنا ، " والجذم الأصل ، والأذواد جمع ذود يقع على مــا

(١) شرح ديوان الحماسة ٤ / ١٦٧٣ تأليف أبي على أحمد بن محمد المرزوقي تحقيق أحمد أمين عبد السلام هارون – طبعة دار الجيل – بيروت .

(٢) لم يعثر له الأستاذ عبد السلام هارون على ترجمة وتوقع أنه شاعر جــاهلي . وقــراءة حماســيته ٣٥٣ في رثاء زيد الفوارس تؤكد أنــه جــاهلي . انظرهــا فــي شــرح الحماســة للمرزوقــي ٤ / ١٠١٧ .

(٣) شرح المرزوقى ٣٤١ طبعة إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية بيــروت – لبنــان – ٢٠٠٣م مجلد واحد ط (١) .

دون العشرة من الإبل ، والمحذفة المقطوعة ، والمعنى ما أبقى تأثير الحوادث من أموالنا إلا بقايا أذواد مقطوعة النسل ثلاثة أثلاث خبر لمبتدأ محذوف وما بعده تفسير له وتفصيل كأنه قال : أموالنا ثلاثة أثلاث ثلث نشتري به الخيل وثلث نشتري به أقواتنا وثلث تعطيه في الديات "(١)

المهم أن سياق أبيات عمرو بن كلثوم غير سياق أبيات حزاز ، أبيات عمرو بما فيها هذا البيت المفضول يتمدح فيها عمرو بالتجلد والتصرِ وعدم الجزع على نوائب الدهر ، إنهم يقيمون بدار الحفاظ ولا يرحلون عن ديارهم لطلب المرعى وإنما يقيمون في ديارهم محالفين سيوفهم فهم أهل حروب وأهل عزة وأبقت الأيام من أموالهم شيئا ثم أوجز في تعداد مصارف أموالهم وفي أثنانها إشارة إلى ما أسهب فيه وأطال شعر حزاز وذلك عندما قال عمرو بن كلثوم :

**فما أبقت الأيام ملمال عندنا سوى جذم أذواد مُحَذَّفَةَ النسل**

أشار إلى الكرم في قوله " محذفة النسل " أي مقطوعة النسل ، وقطع النسل يكون إما بذبح الفصلان للأضياف أو ذبح الأمهات وضياع الفصلان ولا يكون هذا إلا شدة كرمهم ثم أشار إشارة ثانية ( وأقواتنا ) قسم نقتات منها " حبسناها على أقواتنا ومعايشنا ؛ لأن العفاة والزوَّار كانت تنتابنا وتتناوب عليها حتى تستغرقها ؛ لأن إقامتنا بدار الحفاظ شغلتنا عن الغزو واجتذاب الزيادة إليها " الإشارة هنا إلى الجود والكرم إشارة خاطفة أدت إليها أو قل أدتها الكنايتان " محذفة النسل " " وأقواتنا " وباقي البيت الإشارة إلى أنهم أهل حرب وقتال دائمين يحتاجون إلى عدة الحرب وأهملها الخيل والإشارة الأخيرة أنهم أعزاء لا يرجي منهم القصاص وإنما يأسون بأموالهم ما تجنى أيديهم ، صفة بيت عمرو بن كلثوم الإيجاز الشديد مع كثرة المعاني المدمجة في البيت مع ما فيه من بهاء التقسيم وحسنه الذي استعرق أصناف

(١) شرح الحماسة للتبريزي ١ / ١٨٤ .

مصارف أموالهم ولما كان البيت لا يخفي حسنه مع إيجازه عده المرزوقي طريقة وحده وإن كان قد فضل عليه أبيات حزاز فلم يستطع أن يخفى إعجابه به عندما قال : " وهذه الأبيات يزيد تفاصيلها على حملها عند الفحص عنها . وقد وقع دون غايتها قول الآخر وقد سلك مسلكه في تعداد مصارف أموالهم ... وإن اختلفت الطريقتان ، " وكل يدعو إلى نفسه في حسنه وشموله واستيفائه " لم يستطع المرزوقي أن يقام جمال التقسيم وإبداع الإيجاز في بيت عمرو وإن كانت أبيات حزاز قد غلبته على نفسه عندما طالع ما فيها من نمنمات في توضيح صورة الكرم والتمدح بالجود والكرم والمروءة فأطالت في هذه المعاني وأسهبت ولم تشر إشارة عابرة مقتضبة كما فعل عمرو في بيته وإنما ذكر الإبل في ثلاث أبيات متواليات فقال :

**لنا إبل لم تهن ربها كرامتها ، والفتى ذاهب**
**هجان تكافأ فيها الصديق ويدرك فيها المنى الراغب**
**ونطعن عنها نحور العدى ويشرب منابها الشارب**

هي إبل معدة لحماية أعراضهم والذود عن كرامتهم فهم لهم يهينوا أنفسهم بالحفاظ عليها وتنميتها واحتجانها دون الحقوق التي تنتابهم وتأمل : " لم تهن ربَّها كرامُتها " وطلاوة المجاز العقلي الذي أسند فيها نفى الإهانة إلى كرامة الإبل " يعنى هم لم يهينوا أنفسهم ويعرضوها للزراية والعيب واللؤم بالحفاظ على تلك الإبل وصيانها وتنميتها وتثميرها ، وبعد أن طابق بالمحسن اللفظي بين " تهن " و " كرامتها " اعترض بين الصفة والموصوف بما يؤكد كلامه ويقرر أنه لابد من كرامة الإنسان نفسه بالتكرم بماله ورعاية حقوق من حوله بقوله " والفتى ذاهب " الذي اعترض به بين قوله " هجان " في البيت وهي صفة ثانية لـ " إبلٌ " في البيت الأول يؤكد بهذا الاعتراض معنى الكرم والجود إذ يقول : إذا كان المال عارِيَّةٌ مُستردَّة والإنسان راحلٌ عنه فلا أمل من أن يكتسب به الحمد في حياته ويضعه في حميد ملذاته . اجتمع للبيت المجاز العقلي والطباق والاعتراض ثم يأتي وصف الإبل التي

أهينت وابتذلت لصون الأعراض بأنها من جياد الإبل هي إبل هجان ، قد تكافأ فيها الصديق ، والبعيد ، وهذا قوله " ويدرك فيها المنى الراغب " أي إن العفاة وطلاب الخير إذا نزلوا بساحتنا نالوا أمانيهم منها كاملة "[١] وكأنه يشير إلى ما يشبه التضاد في قوله " ويدرك فيها المنى الراغب " وذلك بعد قوله " تكافأ فيها الصديق " الصديق جنس يعود على أصدقائهم وذوى مودتهم وأحبائهم يقابله البعداء وهم " راغبو الحاجات " ثم أومأ إلى أن هذه الإبل على الرغم من بذلهم لها وسهولة أمرها عليهم لكنها عزيزة من وجه آخر فلا يطمع فيها طامع ولا يجتاحها دونهم عدو ؛ لأنهم " ونطعن عنها نحور العدى " انظر إلى هذه المقابلات الخفية هذه الإبل مهانة مصانة ، هي في الحقوق مبذولة ومن العدى عزيزة ممنوعة . وفي قوله هذا أشار إلى أن أرباب الإبل فرسان شجعان لا يطمع فيهم غيرهم ولم يستمر في هذا المعنى وإنما نقل إلى معنى آخر " ويشرب منابها الشارب " فهي أيضاً يبذلها في الخمر من يشرب منهم الخمر ، فهو يبيع الإبل ليشرب هو وغيره ثم أشار إشارة خفيفة إلى أنهم ليسوا كلهم ممن يشربون الخمر وإنما فيهم من لم يشربها صيانة ومروءة وذلك من خلال قوله " منابها الشارب " وما أشبه هذا بقوله الآخر : " ومسح بالأركان من هو ماسح " [٢] أي مسح بالأركان من كان غرضه من بداية الأمر قضاء المناسك ليدل على أن هناك فريقا لم يأت للمناسك ، ثم يقول :

**ونُؤْلِفُها في السِّنينَ الكُلُولَ إذَا لم يَجِدْ مَكْسَبًا كاسبُ**

يتكلم عن وقت القحط والجدبَ ، عندما يفقد الناس الأقوات والأموال ، هذه الأموال يألفها الكلول وهم من لا يستطيعون سعياً و كسباً لضعفهم وعجزهم . السنون هي أوقات الشدَّة والقحط وجمود السماء بالماء وقتها " لم يجد مكسبا كاسب " في هذا الوقت الشديد الصعب المريع هذه الإبل مألف

(١) شرح الحماسة ١٦٧٢ .

(٢) انظر شرح ابن جنى لهذه الأبيات التي منها هذا الشطر في الخصائص ١ / ٢٢٠ .

للناس بكل سماحة نفس ، وسجاحة طبع ، إذا كانت السماء قد تجهمت وعبست في وجوه الناس ، خاصة الكلول ، الضعفاء فهم هاشُّون باشُّون في وجوه هؤلاء الأُلَّاف ، وإذا قلت من أين أتيت بهذا ؟ أقول لك قد أشار إليه في ضمن قوله :

**ولـــم تَكُ يَوْمًا إذا رُوِّحَتْ عَلَى الَحىِّ يُلْفَى لها جَادِبُ**

بمعنى أن هذه الإبل حين ترجع من مرعاها عند الرواح لا يصد عنها أحد ولا يعبس في وجه أحد فلذا لم يُعَبْ أربابها بسببها ، وهذا لا يكون إلا من السماحة والسجاحة وكرم الخلق ثم يعود إلى الإبل مرة أخرى فيقول : إن هذه الإبل عطية من الله لنا قد حبانا بها ، لأننا أهل لذلك ؛ لأننا نبذلها في مرضاته ولأننا شجعان أصحاب غارات وثارات على الأعداء ننال برماحنا منهم ما يثمر هذه الإبل ويزكيها يقول:

**حَبَانَا بِهَا جَدُّنَا وَ الِإلَهُ وَضَرْبٌ لنا خَذِمٌ صَائِبُ**

بنى البيت على المجاز العقلي والحقيقة العقلية معاً في فعل واحد إذ أسند الحباء إلى الإله وهو حقيقة عقلية ثم إلى الجد وهو السعد والحظ والبخت ، وهو سبب ثم إلى الضرب الخذم الصائب وهو سبب فهو مجاز عقلي مسند فيه الفعل إلى سببه على أن التنوين في " ضرب " للتفظيع والتهويل ، أي هو ضرب لا يوصف ولا يقادر قدره ضرب قاطع ، يصيب مكانه الأحق به إذا كانت صائب من الصواب الذي هو ضد الخطأ أو ضرب مُنْهَمِر كالسيل إذا كانت صائب من صاب المطر إذا وقع .

على الرغم من أن الأبيات في ظاهر شكلها التمدح بالكرم والجود وأنها أطالت في ذلك إلا أنها قد تضمنت إشارات إلى صفات كريمة أخرى تلميحا لا تصريحا ولذلك قال المرزوقي : " هذه الأبيات يزيد تفاصيلها على جملها عند الفحص عنها وقد وقع دون غايتها قوى الآخر إلخ " أبيات حزاز أطنبت وفي ضمن الإطناب ألمحت ، وبيت عمرو أوجز بشدة واستوفى التقسيم بأقصر لفظ .

**الحماسية الثامنة والثلاثون بعد المائة . وقال آخر :**

**١- إنْ يَحسُدُوني فإنِّي غَيْرُ لائمِهم قَبْلي من النَّاسِ أهلُ الفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا**

الضمير في " يحسدوني " لطائفة من الناس خصهم بالإخبار عنهم وقصدهم بالكلام فيقول : إن نافسوني وحسدوني ، ورمقوا النعمة عليَّ بعين التسخط فإني لا ألومهم ولا أعتب عليهم ، إذ كان التنافس والحسد يتبعان الفضل ، وإذ كان من قبلنا اعتاد بعضهم من بعض مثل ما نراه بسبب الفضل . وقد أحسن كل الإحسان من قال :

**وإذا سرحت الطرف حول قبابه لم تلق إلا نعمة وحسودًا**

فأما قوله " قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا " فمثله قول عمر بن أبي ربيعة :

**وقديما كان في الناس الحسدْ** (١) "(٢)

المعنى المشترك : الإخبار بالحسد للدلالة على أنه من أهل الفضل .

قد مُيِّز القائل :

**وإذا سرحت الطرف حول قبابه لم تلق إلا نعمة وحسودًا**

وصفه المرزوقي بأنه قد أحسن كل الإحسان . لماذا ؟

الشاعر الحماسي أخبر أنه محسود ، وهو غير لائم لحاسديه ؛ لأنه أهل فضل ومن ثم فقد حُسِدَ ، وقد استوى معه في هذا المعنى عمر بن أبي ربيعة : وقديما كان في الناس الحسد .

أما هذا الشاعر الذي قد أحسن كل الإحسان فلم يكتف بالإخبار بالحسد مجردًا هكذا بل جعل ممدوحه من أهل العز والسيادة ، له قباب مضروبة ، يسرح الطرف في مجالها : وإذا سرحت الطرف حول قبابه ، في هذه الحالة أنت لا تقع عينك إلا على نعمة موجودة أو مبذولة أو على حاسد يَنْفَسُ عليه هذا العز والثراء والكرم . الشاعر لم يجعل الأمر على الشك : إن يحسدوني

(١) صدره في الديوان ٧٦ : حسد حملته من شأنها .

(٢) شرح ديوان الحماسة ١ / ٤٠٥ .

.... إلخ بل جعله الشاعر على القطع واليقين إذا سرحت ..... لا تجد إلا نعمة وحسود . فقد زاد في المعنى وجعل الأمر على اليقين .

**الخلاصة** : وجه الإحسان : الزيادة في المعنى بالقطع أن المحسود من كرام القوم ثم تعليق الكلام باليقين والقطع – وقد أفاد ذلك بالكناية في قوله : حول قبابه ، وعلق الكلام بـــ : إذا ثم جاء بالتأكيد من خلال أسلوب القصر : لم تلق .... إلا ..... "

**الحماسية الخامسة عشرة للسمو أل بن عاديا اليهودي :**

**٩- يقرِّبُ حبُّ الموتِ آجالَنا وتكرهه آجالَهم فتطولُ**

قوله " يقرب حب الموت " أي حبنا للموت . وجعل في مقابلته " وتكرهه آجالهم " لأنه يشتمل على ما يوفيها حقها من اللفظ . وإن كانت من حيث المعنى قد حصلت : ويبعد بعضهم إياه أجالهم " ويكون الشاعر ملما في المصراع الأول بقول الآخر : رأيت الكريم الحر ليس له عُمْرُ لأنه يشير إلى أنهم يُعْتَبَطون لاقتحامهم المنايا ، وحرصهم على ملابسة الحروب ، وأن أولئك يُعَمَّرون لمجانبتهم الشرور وزهدهم في مجاذبة العدو . ويجوز أن يكون أضاف الحب من قوله : " حب الموت " إلى الفاعل فيكون " المعنى : يقرب حب الموت لنا آجالنا ، ويكون هذا كقول طرقة :

**أرى الموت يَعْتَامُ الكرامَ ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد**

ويكون على هذا قوله : وتكرهه آجالهم " محمولا على أنه إذا كرهت آجالهم الموت فقد كره الموت آجالهم أيضا . ألا ترى قول دريد :

**أبى القتلُ إلا آل صِمَّةَ إنَهم أَبَوْا غَيْرَهُ والقَدْرُ يَجْرِي إلى القَدر**

وقول متتم :

**أرى الموت طلاعا على من ترفعا** (١)

(١) في المفضليات ٢ /٧٠ : **فلا تفرحن يوما بنفسك إنني .:. أري الموت وقاعا على من تشجعا**

وإذا كان كذلك فالتقابل في هذا الوجه حاصل أيضا ... وقد أحسن عنترة كل الإحسان في سلوك هذه الطريقة ، حين قال [1] :

**ليس الكريم على القنا بمحرم "[2]**

المعنى المشترك : اختيار الموت أكارم الناس

اشترك السمو أل ودريد ومتمم وعنترة في ذلك ، السمو أل كنى عن ذلك بأنهم شجعان يُدْنِيهم من الموت حبهم الموت أو محبة الموت لهم ، لأنه لا يختار إلا الكرام أما غيرهم فقد عرض بجبنهم بأنهم يكرهون الموت فتطول آجالهم ، ودريد أشار إلى ذلك :

**أبي القتل إلا آل ضمة ؛ إنهم أبوا غيره ، والقدر يجري إلى القدر**

يعنى كما قال – ﷺ – لا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل " ومتتم نص على أن الموت طلاّع على من ترفع عن الجبن وسما إلى الشجاعة ، فكأن الموت ينظر من عَلُ فمن كان شجاعا اصطفاه . وأما عنترة، فقد أحسن كما يقول المرزوقي كل الإحسان حينما قال :

**فشككت بالرمح الأصم ثيابه ليس الكريمُ على القَنا بمُحَّرمِ**

ووجه إحسان عنترة فيما أرى أنه ارتفع بالمقتول درجة عن سابقيه فلم يقصره على صفة الشجاعة وحب الموت ، بل جعله كريما ، وهي صفة أعم وأشمل في الوصف من الشجاع فكل كريم شجاع وليس كل شجاع كريما ، الكرم صفة عامة تشمل الأخلاق كلها ومنها الشجاعة . هذه واحدة . الثانية أن عنترة كان البديل عن الموت ، فهو الذي يخْتَار ، ولا يختارُ لقناه إلا من يكون كفؤاً له . فهو مدح له ضمني – الثالثة أن هذا الكريم ليس بمحرم عليه : أن تقتاته القنا ، بل هو حلال لها . ليس الكريم على القنا بمحرم الخلاصة أيضا التعميم في الصفة هو محل الإحسان .

(١) صدره : فشككت بالرمح الأصم ثيابه .

(٢) شرح ديوان الحماسة ١ / ١١٥ .

**الحماسية الخامسة عشرة لجزء بن ضرار :**

**٨- ومن يغمرُوا منهم بفضل فإنه إذا ما انتمى في آخـــرين نجيـــبُ**

أصل الغمر التغطية ، ومنه قولهم : دخل في غُمار الناس . والنجيب: الكريم من الناس والخيل والإبل ، لذلك قيل للمختار من كل شيء المنتخب ، وقد نَجب الرجل نجابة ، وأنجب : أتى بأولاد نجباء . يقـــول : والمغمـــور الخامل فهم ، لظهور الفضل عليه إذا انتسب في قوم آخرين عُدَّ نجيبا ومثله قول الآخر: (١)

**يسود ثِنَانَا مَـــنْ ســـوانا وبـــدؤنا يسودُ مَعَـــدًّا أكلهـــا مـــا تدافعـــه**

وإن كان هذا زائدًا على ذلك . وحذف مفعول " يغمـــروا " لأنـــه لا يلتبس . أراد ومن يغمروه ، أي المفصول فيهم إذا انتمى في غيرهم كـــان فاضلا . " (٢)

الثِّنَى : مَنْ دون الرئيس ، لكنه يليه في الرتبة . والبَدْءُ : السيدُ غيرُ مدافَع عن أولية سيادته ، فكأن المراد بهما : الأول في الرياســـة والثـــاني ، وأصله من ثنيت الشيء

المعنى المشترك : وصف النجابة

فُضِّل قول جزء بن ضرار على قول حُجْر بن خالـــد الثعلبـــي ؛ لأن جزءًا لم يحدد النجابة في السيد ومن يليه كما في قول حجر ، ولا جعل السيد الذي هو الأول فيهم يسود معدًّا كلها ، بل جعل غمارهم ، يعني عـــامتهم ، يعني أن أي واحد من عامة قبيلتهم إذا انتسب في أي قوم آخرين يَعَد نجيبا ، فما بالك بخاصتهم ولم يحدد الأخرين أهم معد ، أم غيرهم . فلذلك زاد على حجر الثعلبي .

**الخلاصة :** التقديم لإفادة الكلام العموم في المعنى وعدم التحديد .

---

(١) هو حُجْر بن خالد الثعلبي كما سيأتي في الحماسية ١٧٠

(٢) شرح ديوان الحماسة ١ / ٣٤٦ .

**الحماسية الخامسة والثلاثون بعد المائة : أرطاة بن سهية :**

**٢- ونحن كصدع العُسِّ إنْ يُعْطَ شَاعِبًا يَدَعْهُ وفيه عَيْبُه مُتَشَاخِسُ**

يقول استحكم الفساد بيتنا حتى لا يقبل صلحا ولا صلاحا ، وتفاقم الانصداع حتى لا يلتحم تباينا وتدافعا . فلن تعود الحال إلى ما كانت وإن أمسكنا عن إثارة الشر والزيادة فيه زمانا ، وتصنعنا في الاحتمال والمقاربة إبقاء على الحظ من المراجعة وإدناء ، بل يكون ما بيننا كالشق في القَدَح ، إن أعطى شاعبا تركه والعيب ظاهر فيه ، غير منكتم ولا خاف . والمتشاخس : المتفاوت .... وفي طريقته قول الآخر :

**ومن الموالي ضَبٌّ جَنْدَلَةٍ نَخِرُ المودَّةِ ظَاهِرُ الغَمْرِ**

وقد أحسن أبان اللاحقى في مزدوجته حين قال :

**وإنما مودةُ الأشرار فِي وَهْيِها كمِثْلِ الفَخَّارِ**

**يصيبُه أَدْنَى يَدٍ فَيْنكَسِرْ وليس يُرْجَى شَعْبُه إِذَا جُبِر**(١)

المعنى المشترك : تصوير انثلام العلاقة بين الأشخاص بعد المَوَدَّةِ صورها أرطاة بن سهية وصور أثرها السيء بعد الصلح وأنها لا تكون أبدًا كما كانت بصورة العُسِّ ( وهو قَدحَ كبير من الخشب يروي أكثر من رجل ) الذي أصيب بكسر فأعيد التئامه بعد الكسر وجبره بسلك أو غيره ، المهم أن أثر الصدع يكون موجودًا فيه أما أبان اللاحقى فقد صوَّر مدى وَهْيِ مودة الأشرار ، وأنها إذا فسدت فلا تعود أبداً بَقَدح من الفَخَّار وهذا هو وجه إحسانه الإتيان بمادة لا يمكن معها الالتئام فهي تصور الحال تمام التصوير .

**الخلاصة :** التقديم لاحسان اختيار مادة المشبه به .

**الحماسية الحادية والعشرون بعد المائتين وقال سعد بن ناشب :**

**٥- أُقِيمُ صَغَا ذِي المَيْلِ حَتَّى أَردَّهُ وأَخْطِمُهَ حتى يعودَ إلى القَدْرِ**

**٦- فإن تعذُليني تعذُلِى بي مُرَزَّأً كَرِيَم نَثَا الإِعْسَارِ مُشْتَرَكَ اليُسرِ**

(١) شرح ديوان الحماسة ١ / ٣٩٨ .

قوله " أقيم صفا ذي الميل " تبجح فيه بأنه عارف بأسرار الرجال ، لطيف التوصل إلى إنزالهم منازلهم ، بصير بمداواة أدوائهم ، لا يتركهم سُدًى ولا يخليهم أهمالا . والصغا : الميل والاعوجاج ... يقول : من مال عنا فإني أقوم اعوجاجه بما يُحوِج إليه من قول وفعل ، حتى أرده إلى ما أريد ، فإن تبينت فيه تعديا لطوره ، وذهابا عن حقه وحده ، زممته بزمام مثله حتى يرجع إلى مرتبته وقدره . وقوله " فإن تعذُليني " يصف نفسه بأنه سمح معطاء ، لا يُكَفُّ عن البذل ، ولا يُرَدُّ عن العطاء والجود ، على تلون الزمان به ، وتغير الأحوال عليه . والمرزَّأ : المصاب في ماله كثيراً . وقوله " تعذلي بي مرزأ " أي رجلا مرزأ ، وذلك الرجل هو هو كما يقال : لقيت بزيد الأسد . النثا الخير ، ويستعمل في الخير والشر ، والثناء لا يستعمل إلا في الخير ، يقول : إن لُمْتني على ما هو دأبي من الإفضال ، لمت بي رجلا لا يفكر في عُقب الدهر وكروره بالغنى والفقر ، فإن نابه العسر حسن بلاؤه وكرمت أخباره فيه وإن ناله اليسر أشرك الأقارب والأجانب في نفعه ، فعمت فواضله لديهم .

وقد أكثر الشعراء في هذا المعنى . فمن ذلك قول الشمردل :

**وصولٌ إذا استغنى وإن كان مُقْترًا من المال لم يُحْفِ الصديقَ مَسائِلُه**

وقول المَرَّار :

**إذا افتقر المَرَّارُ لم يُرَ فَقْرُهُ وإن أيسر المرار أَيْسَر صَاحِبُه**

وأحسن من الجميع قول الآخر :

**إذا افتقرُوا عَضُّوا عَلَى الفَقْرِ حِسْبَةً وَ إِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِراعًا إِلَى الفَقْرِ"**[1]

**المعنى المشترك : وصف حال المرء في عسره ويسره**

١- سعد بن ناشب : كريمَ نثا الإعْثَارِ مشتركَ اليُسْرِ

٢-الشمردل :

(١)شرح ديوان الحماسة ٢ / ٦٦٥ .

**وصولٌ إذا استغنى ، وإن كان مُقْتِـرا  منَ المالِ لم تُحْفِ الصديقَ مسـائِلُه**

٣-المرَّار :

**إذا افتقر المرَّارُ لـم يُـرَ فقـرُهُ  وإن أيسر المَرَّارُ أَيْسَـرَ صَـاحِبُه**

البيت المفضل على الجميع قول الآخر

**٤-إذا افتقرُوا عَضُّوا عَلَى الفَقْرِ حِسْبَةً  وَ إِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِراعًا إِلَى الفَقْـرِ**

فضل المرزوقي البيت الأخير على الجميع وإن كانوا جميعاً مشتركين في وصف حال الإفضال ساعة اليسر ، والتَجُّمل عند العسر . فمـا الـذي فُضِّل به البيت الرابع الذي هو قول الآخر ؟ فضل لزيادة معنى دينيٍّ فيـه ؛ الشعراء الثلاثةُ الأُوَلُ كلُّهم قد وصف حال التعفف والتجمل عند الإعسـار ، أنهم لم يخرجهم الفقر إلى حالة من الضراعة ، وإظهار البأس ما يكون بـه المرء سيء النثا ، أي سيء الأخبار عنه حالة الفقر كما قال سعد بن ناسب ، يعني تُحْمَدُ أخبارُه وتمدح عند فقره ولا يظهر منه ما يُعَابُ عليه وعند الغنى يكون غناهم شركة بينهم وبين إخوانهم في المواساة – هـذا أقصـى غايـة الشعراء الثلاثة أما صاحبنا فقد زاد عنهم بأن وصف القوم الذي يتكلم عنهم بأن الفقر حينما يبتلون به يفرحون به أشد الفرح ، وكأنهم قد ظفروا بحـال ثمينة ، وفرصة غالية ، فهم يعضون عليه بالنواجذ حسبةً لله – هذا معنـى زائد على ما قبله في حال الفقر ، ثم زاد أيضا معنى آخر في حال الغنى ألا وهو أنهم حينما يبتلون بالغنى فهم لا يكتفون بأن يشركوا فيه غيرهم ، بل هم يتخلصون مما أصابهم من الغنى وذلك بهلكته في الحق ونوائبه فهم : ( وإن أيسروا عادوا سراعًا إلى الفقر ) ولذلك حُقَّ لهذا الشاعر أن يتقدم في قولـه على الشعراء الثلاثة لأنه زاد عليهم في حالهم درجة عالية .

**الخلاصة** : التقديم لمعنى ديني في الكلام صَوَّرَهُ استعارة مكنية فـي قوله : عضو على الفقر ثم التعليل لذلك يقوله : ( حِسْبَةً ) .

**الحماسية الخامسة والسبعون بعد المائة السابعة ، وقال زرعة بن عمرو[١]:**

**٣- وأَفْنَتْنِي اللَّيالِي ، أُمَّ عَمْرٍو وحَلِّي في التَّنَائفِ واتِحَالِي**
**٤- وتَرْبِيَتِي الصغيرَ إلى مَدَاهُ وتَأْمِيلِي هِلَالاً عَنْ هِلَالِ**

يقول : أفني قواى نوائب الزمان ، وتصاريف الليالي والأيام ، وتنزلي في المفاوز والقفار ، وتنقلي في مختلفات الأسفار ، وتربيتي الطفل الرضيع إلى أن يبلغ ويجتمع ، واليافع الكبير إلى أن يعلو ويستكمل وتعليقي الأمل بشهر مستهل بعد شهر ، وحول مؤتنف بعد حول . وإنما يصف ما عانا ، وامتحن به حالا بعد حال ، وتردد فيه فقاساه وقتا بعد وقت إلى أن تقضى عُمره ، ونفذت قوته .

ويشبه هذه الأبيات قول الآخر[٢]:

**لقد طوَّفْتُ في الآفَاقِ حَتَّى بَلِيتُ وَقَدْ أَنَى لِي لَو أَبِيدُ**
**وأفنانِي ولا يَفْنَى نَهَارٌ ولَيْلٌ كُلَّما يَمْضِي يَعُودُ**
**وشَهْرٌ مُسْتَهَلٌّ بعد شهرٍ وحَوْلٌ بعدَه حَوْلٌ جَدِيدُ**
**ومفقودٌ عَزِيزٌ الفَقْدِ تَأْتِي مَنِيَّتُه ومأمولٌ ولَيدُ**

وإن كان هذا أحسن استيفاء "[٣]

المعنى المشترك : تعداد ما يؤثر على صحة الإنسان وشبابه

فضل شعر زرعة بن عمرو على قول الشاعر الآخر وإن تشابها في الطريقة غير أن زرعة قد استوفى جميع الأقسام ، ومن الأشياء المعجبة جداً للإمام المرزوقي باب التقسيم فطالما أشاد به . الشاعر المفضل زرعة بن عمرو قد ذكر عدة أقسام :

(١) كان فارسا شجاعا ، وكان ممن شهد يوم رحرحان في الجاهلية الأغاني ٣١/١٠ .
(٢) مسجاح بن سباع ، جاهلي من شعراء الحماسة ، صاحب الحماسية ٣٥٢ .
(٣) شرح ديوان الحماسة ٤ / ١٧٣٦ .

١- نوائب الزمان ( الليالي )
٢- الأسفار وقطع الصحراء ( وحلى التنائف وارتحالي )
٣- وتربيتي الأبناء ( وتربيتي الصغير )
٤- وتعليقي القلب بالأمل ( وتأميلي هلالا )

**الحماسية الثامنة عشرة بعد المائة الثامنة ، وقال مُلْحَةُ الَجرْميُّ :**

**٨- وباتَ الحَبِيُّ الجَوْنُ يَنْهَضُ مُقْدِمًا كنَهْضِ المُدَانَى قَيْدُهُ المُوعِثُ النَّقْضِ**

الحَبِيُّ من السحاب : المشرف المتراكم .... يريد أن سير السحاب لثقله وحركاته مثل سير هذا البعير وحركته ، ثم وصفه . والمداني قيده : الذي قصر عقاله وضيق عليه قيده . ولم يرض بذلك حتى جعله سائراً في الوعث ، وهي الأرض اللينة الكثيرة التراب والرمل والسير فيها يصعب . ويقال في الدعاء : " اللهم إني أعوذ بك من وعثاء السفر " ، يراد شدته وصعوبته .... ثم لم يرض بعد ذلك أيضا حتى جعله نقضا ، وهو المهزول الضعيف ... وقد زاد في هذا الوصف على الأعشى لما قال :-

وإن كان الأعشى يصف امرأة بالنعمة والترفة ، وهذا يصف سحابة ثقيلة :

" **تَمْشِي الهُوَيْنَى كَمَا يمشى الوَجِي الوَجِلُ** "

لأن هذا جعل البعير مدانى القيد أيضا . " [1]

المعنى المشترك : وصف بطء الحركة والثقل

وقد امتاز الحماسي في وصفه بأن شبه السحاب المتراكم في بط حركته ونُقْلته أمام العين في هيئته بحركة بعير قد وصف بعده صفات : تدانى القيد ، المشي في الوعث ، وهي الأرض اللينة ، كون البعير مهزولاً ضعيفاً . فاجتمع لذلك البعير من الصفات ما يجعل حركته في غاية من الثقل والبطء التي لا تكاد تدركها العين وهذا يمثل حركة السحاب أصدق تمثيل

(١) شرح ديوان الحماسة ٤ / ١٨١٠ .

خاصة إذا ضممنا إلى هيئة الحركة شكل ضخامة البعير الذي يصور قطع السحاب .

أما الأعشى فقد اكتفى في تصوير بطء الحركة بوصف من يمشي في الوحل ( وهذا يقابل في شعر الحماسي : الموعث ) ثم يوصف : ( الوجي ) وهو من يكون حافيا القدمين أو يشتكي وجعا . إذن تكثير القيود في شعر الحماسي صور البطء أصدق تصوير .

الخلاصة : الاستحسان لزيادة القيود المصورة تمام التصوير لهيئة المشبه به .

**الحماسية الخمسون بعد المائة السادسة ، وقال آخر :**

**١- هجوت الأدعياءَ فناصَبَتْنِي مَعَاشِرٌ خِلْتُهَا عَرَبًا صِحَاحًا**
**٢- فقلتُ لَهُمْ وقد نبحوا طويلا عَلَيَّ فلم أُجِبْ لَهُمُ نُبَاحا**
**٣- أَمِنْهُمْ أَنْتُمُ فأكفَّ عنكم وأدفَعَ عنكُمُ الشَّتَمَ الصُّرَاحَا**
**٤- وإلا فاحمَدُوا رأيي فإنِّي سَأَنْفِي عنكُمُ التُّهَمَ القِباحا**
**٥- وحسبُك تهمةَ ببرئ قومٍ يَضُمُّ على أخِي سَقَمٍ جَنَاحا**

هذه الطريقة في ذم الأدعياء غريبة حسنة جداً . وفيما قال أبو العتاهية في والبه ابن الحباب ما هو مستبدع أيضا ، وهو :

**ما بال مَنْ آباؤُه عَرَبُ ألوانِ أصْبَحَ من بني قَيْصَرْ**
**أكذا خُلِقْتَ أبا أسامَةَ أم لوَّنْتَ سَالِفَتَيْكَ بالعُصُفْر**

ولأخذه أبو نواس فقال أيضاً :

**وابنُ الحُبَابِ صليبةً زَعَمُوا ومن المُحَالِ صليبةُ أَشْقَرْ**

... ويقال العرب العاربة والعَرْباء ، أي الخُلَّص . والعرب المستعربة: الذين دخلوا فيهم بعد . " (١)

المعنى المشترك : ذم الأدعياء في أنسابهم

(١) شرح ديوان الحماسة ٣ / ١٥٢٤ .

قد استحسن المرزوقي شعر الحماسي وجعله طريقة غريبة حسنة جداً ، وإن كان قد استبدع قولي أبي العتاهية وأبي نواس ، ولم يبد لذلك سببا .

وإذا تأملت شعر الحماسي وجدته جاء بالهجاء تعريضا وكان الكلام تقريريا يقول : هجوت جماعة من الأدعياء في أنسابهم ، فناصبني العداء معاشر ظننتها عربا صحاح الأنساب ، فشككت في ظنى أنهم عرب صحاح الأنساب لأخذ الحَمِيَّةِ إياهم حينما هجوت هؤلاء الأدعياء ، ولا تأخذهم الحمية إلا إذا كانوا أقرباءهم وأشباههم في ادعائهم العروبية ، الكلام بنى على المباشرة القائمة على المذهب الكلامي والدليل العقلي .

أما شعر أبي العتاهية وأبو نواس فقد جعلا المهجوين من بنى الأصفر صليبة على طريقة التشبيه أو الاستعارة .

**الخلاصة :** تقديم شعر الحماسي لموافقة الكلام التقريري الحال وتأخير شعر أبي العتاهية وأبي نواس لمجيء الأسلوب على التصوير البياني وإن كان الأسلوب حسنا إلا أنه يقل درجة عن الحماسي .

**الحماسية السابعة والعشرون لعامر بن الطفيل الكلابي :**

**٢- أَكُرُّ علـيهم دَعْلَجًـا ولَبَانُـهُ إِذَا ما اشْتَكَى وَقْعَ الرِّماحِ تَحَمْحَمَا**

الدعْلَجُ : المَرِح في السير والتردد ، ويوصف به الفرس والبعير والحمار

يقول : أعطف فرسي دعلجا عليهم حالا بعد حال ، وكرا بعد فر ، وإذا اشتكى من كثرة وقوع الطعن يصدره حمحم . وجعل الفعل للصدر على المجازو السعة لكونه موقع الطعن .... وقد أحسن عنترة كل الإحسان حين سلك هذا السبيل فقال :

**فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِه وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ "**[1]

المعنى المشترك : تصوير شكوى الفرس .

(١) شرح ديوان الحماسة ١ / ١٥٤ .

استحسن المرزوقي قول عنترة ، وفضله على شعر عامر بن الطفيل ، ولم يعلل سر الاستحسان . على أننا إذا أنعمنا قراءة قول عنترة في وصف شكاية الفرس نجده قد أسند الشكوى إلى الفرس نفسه ، ولم يسندها إلى الصدر الذي هو مكان الطعن كما في شعر عامر – هذا أولا ، وثانيا قدم بعض المتعلقات على بعض ، فقد الجار والمجرور ( إليَّ ) على قوله ( بعبرة وتحمحم ) فجاء تقديم الجار والمجرور مصوراً لحميمية بين الفرس وفارسه . وزادنا شفقة على الفرس وحنوًّا حينما جعل الشكوى مقرونة بإمالة الرأس ( فازورَّ) مصحوبة بالصوت ( وتحمحم ) يشيعها الدمع ( بَعْبرة ) .

المهم أن عنترة صور حال الفرس مع فارسة أصدق تصوير حينما جعل الفعل على الحقيقة في الإسناد ( وشكا إليّ ) وهذا بعد ما أمال رأسه ناظراً إليه في الشكوى من شدة وقع الرماح وإيلامها في صدره . لكن عامراً حينما جعل الشكاية مسندة إلى اللَبان ( الصدر ) من المجاز العقلي ، الذي علاقته المكانية ، وجاء بالشكوى مطلقة من غير تقييد كما وقع في شعر عنترة ، لا جرم لم يستطع أن يجعل علاقة متميزة بين الفارس وفرسه كما فعل عنترة .

**الخلاصة :** امتاز شعر عنترة لمجيئه الإسناد على حقيقته وسقوط شعر عامر لإسناده الفعل إلى المكان .

**الحماسية الثانية والثلاثون المائة : وقال آخر** [1]

**١- يازِمٌلُ[2] إني إن تكن لي حادياً أَعْكِرْ عليك وإن تَرُغْ لا تَسبِق**

يقول : إن تخلفت عني حتى يكون مكانك مكان الحادي من البعير أعطف عليك. وإن تقدمتني هاربا حتى تصير كالهادي لي مستعملا الخداع والرواغ معي لم تفتني . والمعنى : إني أدركك على كل حال . وقد أحسن النابغة في قوله :

**فإنك كالليل الذي هو مُدْرِكى وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واسِعُ**

ويقال : عكر واعتكر بمعنى عطف ، وإنه لعكار في الفتن ، إذا كان ثابت القدم [3] "

المعنى المشترك : بيان مدى التمكن والقدرة من الشخص المطلوب

وقد صور ابن دارة ذلك بكلام مرسل خال عن التشبيه والتصوير فقال : إن جئتني من ورائي سوف أعود عليك وأدركك ، وإن جئتني من أمامي لم تقنني هرباً . هذا كلام مرسل . أما النابغة فقد أعطانا مدى إدراك النعمان للنابغة في صورة حسية وهي إحاطة الليل بعموم المكان الذي يلم به ، فأي مكان لا يحله اليل ؟! التشبيه هو الذي ميَّزَ شعر النابغة عن شعر ابن دارة .

**الخلاصة** : التفضيل لإبراز الكلام في صورة تشبيهية .

---

(١) ذكر التبريزي في شرحه على الحماسة أن صاحب الحماسية هو ابن دارة ، وأن هذه الكنية تطلق على ثلاثة رجال ، أولهم سالم بن مسافع بن دارة ، والثاني عبد الرحمن بن مسافع بن دارة ، والثالث مسافع أخوهما ، والثلاثة كلهم شعراء . فأما سالم وهو المراد هنا فمخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وأما عبد الرحمن ومسافع فمن شعراء الإسلام ودارة لقب غلب على جدهم كذا ذكره أبو الفرج أ هـ من شرح التبريزي ١ / ١٤٨.

(٢) ينادى زميل ابن أبير ، أحد بنى عبد الله بن مناف ، وكان حلف أن لا يأكل لحما ولا يغسل رأسا ، ولا يأتي امرأة حتى يقتله . أ هـ من شرح التبريزي ١ / ١٤٩ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ / ٣٨٥ .

**قد بقى من نماذج الاستحسان غير المعلل أربعة عشر أنموذجا وها هي ذي مواطنها :**

١- الحماسية الحادية والعشرون شرح ديوان الحماسة ١ / ١٤٠
٢- الحماسية الخامسة والسبعون شرح ديوان الحماسة ١ / ٢٧٠
٣- الحماسية التاسعة والثمانون بعد المائة شرح ديوان الحماسة ٢ / ٥٨٤
٤- الحماسية الثانية والستون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٧٨٦
٥- الحماسية الرابعة والثمانون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٨٦٧
٦- الحماسية الواحدة والثلاثون بعد الثلثمائة شرح ديون الحماسة ٢ /٩٦١
٧- الحماسية الثالثة والثلاثون بعد الثلثمائة شرح ديون الحماسة ٢ /٩٦٨
٨- الحماسية الثالثة والسبعون بعدالثلثمائة شرح ديون الحماسة ٣ /١٠٦٠
٩- الحماسية الثالثة بعد المائة الرابعة شرح ديون الحماسة ٣ /١١٢٤
١٠- الحماسية الخامسة والستون بعد الأربعمائة شرح ديون الحماسة ٣/١٢٣٩
١١- الحماسية الثالثة والسبعون بعد الأربعمائة شرح ديون الحماسة ٣ /١٢٥٣
١٢- الحماسية الرابعة والثمانون بعد الأربعمائة شرح ديون الحماسة ٣ /١٢٧٤
١٣- الحماسية الحادية والثلاثون بعد الخمسمائة شرح ديون الحماسة ٣ /١٣٣٠
١٤- الحماسية الرابعة بعد السبعمائة شرح ديون الحماسة ٤ /١٦١٤

**قد بقي من نماذج الاستحسان المعلل خمس نماذج وهذه مواطنها :**

١- الحماسية التاسعة والعشرون شرح ديون الحماسة ١ /١٥٨

٢- الحماسية الرابعة والخمسون بعد المائة شرح ديون الحماسة ١ /٤٦٢

٣- الحماسية الثانية والثلاثون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٦٨٥

٤- الحماسية الحادية والخمسون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٧٤٤

٥- الحماسية الثالثة والسبعون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٨٣٠

**قد بقي من نماذج الاستحسان الأبلغية أربعة مواطن هي :**

١- الحماسية السادسة والثلاثون شرح ديون الحماسة ١ /١٨٤

٢- الحماسية الثالثة عشرة بعد المائة شرح ديون الحماسة ١ /٣٣٨

٣- الحماسية الحادية والخمسون بعد المائتين شرح ديون الحماسة ٢ /٧٤٧

٤- الحماسية الثامنة والسبعون بعد الثلثمائة شرح ديون الحماسة ٣ /١٠٦٦

## الخاتمة

أسفر إحصاء الاستحسان عن خمس وخمسين أنموذجا ، جاء منها تسع وعشرون موطنا في الاستحسان غير المعلل ، وأحد عشر موطنا في الاستحسان المعلل ، وعشر مواطن في استحسان الأبلغية ، وخمس مواطن في الاستحسان للصورة البيانية . وقد قام البحث بتحليل خمسة عشر موطنا في الاستحسان غير المعلل وست نماذج من الاستحسان المعلل وست نماذج من استحسان الأبلغية .

أما النوع الأخير فقد حُلِّلَتْ نماذجُه كلُّها . وما بقى من نماذج الثلاثة الأنواع الأُوَل قد تمت الإشارة إلى مواطنها بأرقامها في شرح ديوان الحماسة .

هذا وقد تَبَيَّنَ من التحليل أن التقديم قد يكون لجودة المعنى وعمومه وقد يكون للإتيان بالمعاني في الصور البيانية من تشبيه أو استعارة أو كناية وقد يكون التقديم بين الصور التشبيهية المتماثلة لِلَمْحِ زيادة خفية دَلَّ عليها قَيْدٌ في الصورة ، وقد يكون التقديم لانتقاء مادة المشبه به . وقد يكون للإتيان بالمعنى في أسلوب موجز .

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل وأن يجعله في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولا وآخرًا والحمد لله رب العالمين .

## أهم المصادر والمراجع


١- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب : عبد القادر البغدادي المتوفي ١٠٩٣هـ تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون – الناشر : مكتبة الخانجي – القاهرة .

٢- الخصائص : أبو الفتح عثمان بن حنى الموصلى المتوفى ٣٩٢هـ – الهيئة العامة للكتاب – الطبعة الرابعة .

٣- دلائل الإعجاز : أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل ، الجرجاني الدار المتوفي ٤٧١هـ – المحقق : محمود محمد شاكر أبو فهر – الناشر : مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة – الطبعة الثالثة ١٩٩٢م .

٤- ديوان امرئ القيس – تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم – الطبعة الرابعة دار المعارف – ١٩٨٤م .

٥- شرح أشعار الهذليين . صنعة أبي سعيد السكري – حققه عبد الستار أحمد فراج – راجعه محمود محمد شاكر – مكتبة دار العروبة – ١٩٦٥م .

٦- شرح ديوان أبي تمام – الخطيب التبريزي – تقديم راجي الأسمر – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة الثانية – ١٩٩٤م .

٧- شرح ديوان زهير بن أبى سُلمى – صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى بن زيد الشيباني ثعلب – نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب – ٩٤٤م – الدار القومية للطباعة والنشر – القاهرة ١٩٦٤م

٨- شرح ديوان الحماسة – يحيى بن على بن محمد الشيباني التبريزي أبو زكريا المتوفى ٥٠٢هـ – دار القلم – بيروت .

٩- شرح ديوان الحماسة – مصورة عن نشرة الأستاذ أحمد أمين والأستاذ عبد السلام هارون بدون تاريخ وقد كتب عليها ( طبعة دار الجيل – بيروت )

١٠-شرح القصائد العشر : يحيى بن على بن محمد الشيباني التبريـــزي – أبو زكريا المتوفى ٥٠٢هـــ – عنيت بتصحيحها وضـــبطها والتعليـــق عليها للمرة الثانية إدارة الطباعة المنيرة – عام النشر ١٣٥٢هـــ

١١-معجم الأدباء ( إرشاد الأديب إلى معرفة الأديـــب ) : شـــهاب الـــدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي – المتوفي ٦٢٦هـــ – المحقق : إحسان عباس دار الغرب الإســـلامي – بيـــروت – الطبعـــة الأولى ١٩٩٣م .